



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية

نثر علي بن عبيدة الريحاني

دراسة موضوعية وفنية

(ت ٢١٩هـ / ٨٣٤م)

The Prose of Ali Ibn Obaydah AL-RAYHANI
A Thematic and Artistic Study
D.219 A.H / 834 A.C

إعداد الطالب

فتحي إرشيد محمد شديقات

٩٦٢٠٣٠١٠٠١

إشراف الأستاذ الدكتور: عدنان عبيد العلي

وتواقيعهم

.....
.....
.....
.....

أسماء لجنة المناقشة

- ١- الأستاذ الدكتور عدنان عبيد العلي
- ٢- الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حور
- ٣- الأستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري
- ٤- الدكتور محمد محمود الدروبي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية في

كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٠٠٠/٤/١٩م

الشكر

أشكر الأستاذ الدكتور عدنان العلي، المشرف على رسالتي والتي تعهد هذه الغرسة بالرعاية والعناية، حتى خرجت في جواهرها الذي تسمعون.

وأشكر لجنة المناقشة ممثلة بـ :-

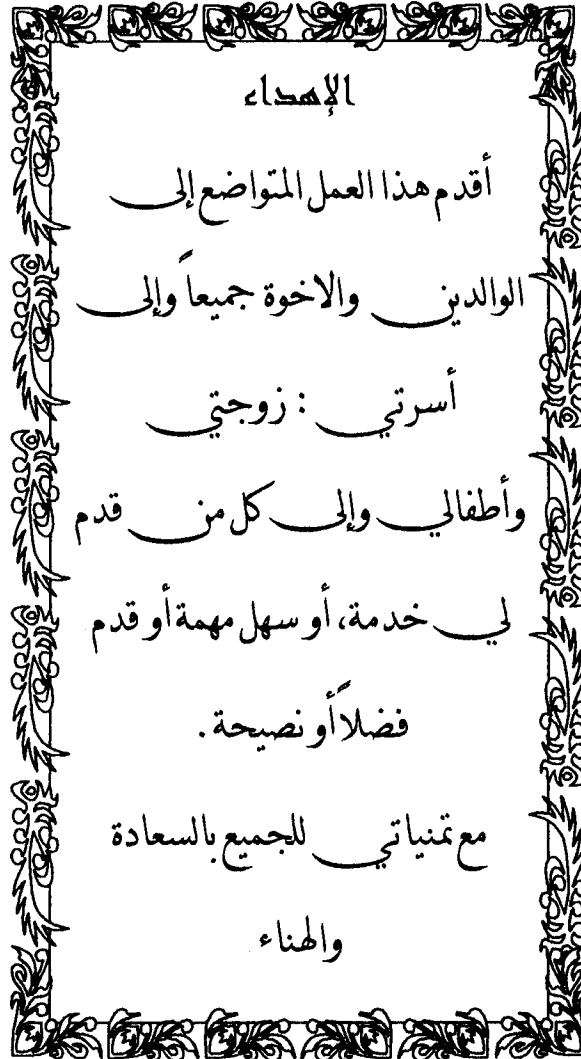
١. الأستاذ الدكتور: يحيى وهيب الجبوري.

٢. الأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم حور.

٣. الدكتور: محمد محمود الدروبي.

لتفضلهم بالمساهمة في إخراج هذا العمل وتصويبه ليفيد منه الدارسون.

وأخص الدكتور محمد الدروبي، الذي كان له الفضل بالكشف والبحث عن هذا العالم، وتوجيهي لدراسته ودراسة أدبه، كما أنني أشكر كل من أسدى إليّ نصحاً، أو قدم خدمة، ووفر وقتاً، وسهّل طريقاً، وتكلف بعداً ومشقةً وقسوة، لهم جميعاً شكري وتقديري وثمره سهري وجهدي.



فهرس المحتويات

الصفحة ورقمها

محتويات الرسالة

المقدمة

٣ تمهيد: بيئة الريحاني الثقافية والسياسية والاجتماعية

٦ ١- الفصل الأول: حياته وثقافته:

٦ أولا- اسمه ولقبه وكنيته.

٦ - مولده ووفاته

٦ ثانيا - نشأته

٧ ثالثا - ثقافته ومصادرها

٨ - القرآن الكريم

٩ - الحديث الشريف

١١ - البيئة العربية

١٣ - الثقافة الفارسية

١٥ - الثقافة اليونانية

١٧ - الثقافة الهندية

١٧ رابعا - اتجاهه الفكري

١٩ خامسا - ملامح شخصيته

٢١ سادسا - مكانته الأدبية والعلمية عند القدامى

٢٢ سابعا - آثاره وقيمتها

٢٨ ٢- الفصل الثاني : موضوعات نثره.

٣٠ أولا : الموضوعات الدينية.

٣١ ١. الزهد

٣٢	٢. التصوف
٣٣	٣. الورع
٣٤	٤. التقوى
٣٥	٥. العدل
٣٧	٦. الشورى
٣٨	٧. العبادات
٤٠	٨. الحلال والحرام
٤١	٩. الطهارة
٤٢	١٠. الثواب والعقاب
٤٣	١١. محاسبة النفس
٤٤	١٢. اجتناب الهوى
٤٦	١٣. الدنيا والآخرة
٤٧	١٤. التوبة والنية
٤٨	ثانياً : الموضوعات الاجتماعية
٤٩	١- الإخوان
٥١	٢- الأصدقاء
٥٦	٣- المرأة
٥٧	٤- الأخلاق الفاضلة
٥٧	٥- الحياء والعفة
٥٨	٦- العفو والصدق والجود
٥٨	٧- المروءة
٥٩	٨- الشكر
٦٠	٩- الصبر
٦١	١٠- المواعظ - الصمت والكلام
٦٢	١١- المعاشرة
٦٤	١٢- العيوب الاجتماعية
٦٥	١٣- السعاية والنميمة
٦٥	١٤- الكذب
٦٧	١٥- المزاح
٦٨	١٦- الحسد
٦٩	١٧- الظلم

٧٠	١٨- الشره والشهوة
٧٠	١٩- المراء والنفاق والعجب
٧١	٢٠- الغدر والخيانة ونقض العهود
٧٣	<u>ثالثاً : الموضوعات السياسية.</u>
٧٣	١. واجبات السلطان
٧٥	٢. شروط صحبة السلطان
٧٥	٣. الثقافة
٧٥	٤. المحافظة على الأمن
٧٦	٥. حسن السياسة
٧٧	٦. الحرب
٧٨	٧. العلاقة بالسلطان
٨٠	<u>رابعاً : الموضوعات الاقتصادية.</u>
٨٠	١- أهمية المال
٨٠	٢- حسن التخطيط
٨١	٣- الاقتصاد والاعتدال

الفصل الثالث:

٨٣	❖ الخصائص الفنية
٨٤	١- التأثر بأسلوب القرآن الكريم
٨٦	٢- التأثر بأسلوب الحديث الشريف
٨٧	-الإيجاز
٩٠	٣-أثر الحضارة اليونانية
٩٠	أ - الجدل والمناظرة
٩١	ب -حسن التعليل
٩٣	ج -حسن التقسيم

٩٥	٤-التأثر بكتاب عصره وسابقيهم
٩٩	٥- دقة الملاحظة وجمال التصوير
١٠١	٦-التفصيل
١٠٤	٧- الأحاجي والألغاز
١٠٧	٨- الطرافة والدعابة
١٠٨	٩- المحسنات البديعية
١٠٩	١٠- أثر الريحاني في أدب غيره وتأثره بهم
١١٧	الخاتمة
١٢١	قائمة المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص باللغة العربية

((نثر علي بن عبيدة الريحاني دراسة موضوعية وفنية))

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.
الحمد لله حمدا كثيرا كما أمر، وأصلي وأسلم على نبيه وآله وصحبه الطاهرين

وبعد:

تبدأ الرسالة بتمهيد عن حياة الريحاني الثقافية والاجتماعية والسياسية وتتكون من

ثلاثة فصول:-

الفصل الأول:- يبدأ بتعريف بالكاتب، وذلك لأنه مجهول لدى الكثيرين ولم ينل العناية والدرس، ومؤلفاته نافذة على الخمسين مؤلفا، وله مخطوطة "جواهر الكلم وفرائد الحكم" * ولم تحقق بعد. اختص بالمأمون ولم يتقلد أي منصب في دواوين الدولة اتهم بالزندقة ظلما لعلاقته بالجواري، كما ذكر التوحيدى، ولم يعرف كنه مذهبه.

وأقواله المتناثرة في كتب التراث، وفي مخطوطته، لا يظهر فيها أي أثر للزندقة، وقد تكون التهمة سياسية مذهبية وليست دينية؛ سياسية لأنه عاصر الفتنة التي حدثت بين الأميين والمأمون، والاضطرابات السياسية التي انتهت بمقتل الأميين، والمذهبية؛ لأن المأمون قال بخلق القرآن، وجعله دستوراً للدولة، وكان ممن اختص بالمأمون، ونتيجة لذلك حظي بمكانة حسده الكثيرون عليها، ومال المأمون للتشيع مما أثار العباسيين، وردا على ذلك بايع العباسيون إبراهيم بن المهدي خليفة وخلعوا المأمون. مثل هذه الظروف كانت وراء تهمة الزندقة للنيل من بطانة الخليفة ومنهم الريحاني.

أما الفصل الثاني:- فهو موضوعاته ومصادرها، وتعددت المصادر وتعددت الموضوعات، وتأثر بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، كما تأثر بالبيئة العربية وكانت مادة أدبه.

وكان للثقافات الوافدة أثر أيضا، كالثقافة اليونانية، والفارسية والهندية. كما تأثر بكتاب عصره ومن سبقهم كالتأثر بخطب الإمام علي كرم الله وجهه، ونثر ابن المقفع.

* مخطوطة جواهر الكلم وفرائد الحكم:- هي من الآثار المتبقية من أدب الريحاني وهي موجودة في دار الكتب المصرية حصلت على صورة منها، وهي مبوبة حسب الحروف الهجائية، وتضم حكما ومواعظ، وتقع في ثلاثمائة وثلاث صفحات من القطع الكبير.

فكان من موضوعاته الاجتماعية الكثير
والسياسية: كشروط صحبة السلطان، ومعاملة الرعية الخاصة والعامة
والدينية: كالزهد، والتصوف، والعدل، والشورى.
والاقتصادية: كحسن التدبير والتخطيط، وطلب المال وإنفاقه.
وتنوعت الموضوعات، وكثيراً ما اعتمد على المقابلة، فلم يأخذ موضوعاً إلا أخذ ما
يقابله كالرضا والغضب، والموت والحياة، والدنيا والآخرة، والسلم والحرب، وكانت هذه
سمة تغطي على خصائصه.
وفي هذه الموضوعات دعا إلى القدوة والوسطية والاعتدال، فلم تكن إلا مثالية
النهج، شمولية إنسانية، فيها الموعظة والحكمة، والعبرة والقدوة.
أما الفصل الثالث والأخير: - فهو خصائص نثره الفنية.
فكان منها التقليدي: كالتأثر بالموروث والتراث، كالمعاني الإسلامية والتأثر
بالسابقين، وكان متأثراً بالأساليب كما كان متأثراً بالموضوعات.
وانتم أسلوبه بالسهولة والوضوح، أسلوب وعظي يقوم على الحجة والدليل كما
يراعى: في أسلوبه حال المخاطبين ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.
فضلاً عن اعتماده على وحدة الجملة لا وحدة الموضوع، ويمتاز أسلوبه بالإيجاز
والمقابلات والثنائيات الضدية.
واستخدم الأحاجي والألغاز ومنها ما وجد في كتب التراث دون أن تتسبب إليه، و لا
يعرف قائلها، وقد وجدت مثل هذه الألغاز والأحاجي في مخطوطته.
وهناك حسن التعليل وحسن التقسيم أو ما يسمى بالطريقة العددية وقد وردت مثل
هذه التقسيمات بأسلوب مسجوع فيه توازن وازدواج.
ولم تقف سمات أدبه عند هذه الخصائص، بل كان هناك دقة ملاحظة وجمال
تصوير وأغنت البيئة والواقع جمال تصويره.
فجمال صورته لا يقل عن جمال معانيه لمهارته وعلو فنه، واهتم بالفكاهة والدعابة،
فضلاً عن المحسنات التي وردت عفو الخاطر، فلم تكن متكلفة وإنما تدل على براعة
الكاتب، ودقة اختيار مفرداته ومعانيه، وإذا سمعها الجاهل ظن أنه يأتي مثلها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الكريم وآله الطاهرين وصحبه المنتخبين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقى وما توكلنى وما اعتمادى إلا على الله رب العالمين، وبعد:-

تناول بحثي أدبياً مجهولاً، لم ينل من العناية ما ناله غيره، وتناولت هذا العالم بحثاً واستقصاءً، فحاولت دراسة حياته وملامح شخصيته، وموضوعات نثره، وخصائص هذا النثر وما له علاقة بالموضوع.

ووجدت أن هذا العالم لا يقل أهمية عن غيره من العلماء الأدباء، لفضل أدبه وما ضم من حكم ومواعظ ونصائح ووصايا، فضلاً عن مؤلفاته التي نافت على الخمسين، وأقواله المتناثرة في كتب التراث، كالבصائر والذخائر، ونثر الدر، وربيع الأبرار، ومعجم الأدباء، وغيرها.

ولكنني -وبفضل من الله-، استطعت الحصول على مخطوطة فريدة تدعى "جواهر الكلم وفرائد الحكم" من دار الكتب المصرية بعد جهد في مخاطبة الدار المذكورة، شاركني فيه صديق كريم ووجدتها مادة خصبة؛ لما تحويه من أقوال في مختلف الموضوعات الدينية، والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، وقد صنفت بعض هذه الأقوال، وقسمت هذه الموضوعات الرئيسة، إلى موضوعات فرعية: فكانت الدينية التي تناولت موضوعات في الزهد والتصوف والورع والتقوى. والموضوعات الاجتماعية: تتحدث عن الإخوان والأصدقاء والمرأة. والعيوب الاجتماعية: كالسعاية والنميمة. وعن مكارم الأخلاق :-كالصدق والحياء والعفة. وأما الموضوعات السياسية: فتشمل شروط صحبة السلطان، كالثقافة، والمعاشرة، وفضل السلم ومخاطر الحرب. وأما الموضوعات الاقتصادية : فتتحدث عن الاعتدال في الإنفاق، وحسن التخطيط وغيرها كما ذكرت مصادر ثقافته .

وقد درست خصائص نثره، وما فيه من تجديد وإبداع، ومن تقليد ومحاكاة، وقد جاء البحث في تمهيد وثلاثة فصول اختص التمهيد بدراسة بيئة الريحاني السياسية والاجتماعية والثقافية، لأن لهذه البيئة تأثيراً على الريحاني إنساناً وأديباً.

وكان قد تأثر بكتاب عصره ومن سبقهم، ويظهر تأثره بالإمام علي وحكمه ومواعظه، وكان هناك بعض التكرار لهذه الحكم، وتأثر كذلك بابن المقفع وحكمه وأسلوبه، ومزيداً لتوضيح

هذا التأثير فقد وازنت بين الريحاني ومن تأثر بهم في جداول في كل موضوع، وأثبت هذه الأقوال بنصوصها.

وقد تحدثت عن حياته وبيئته لإلقاء الضوء على هذا الأديب الذي لم يكن معروفاً في الفصل الأول وقد اعتمدت في الفصل الثاني على استقراء وتحليل مخطوطته وما ورد من أقوال متناثرة في كتب التراث وقسمت موضوعات أدبه إلى: دينية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وهناك بعض الفروع لهذه الموضوعات، واقتصر على ذكر بعض الأمثلة والشواهد التي تخدم الموضوع وبعض الأمثلة التي تأثر بها ووازنت بين أدبه وأدب من تأثر بهم، ومن خلال ما ورد من نصوص وفي الفصل الثالث حاولت استخلاص أبرز خصائص أسلوبه، التي كانت امتداداً لخصائص عصره، إلا أن الريحاني تميز بالتركيب لا بالتحليل، وقصر عباراته وكثرة مقابلاته، وثنائياته الضدية.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

اتسم العصر العباسي الأول -عصر الريحاني- بالتطور والازدهار، وذلك لأسباب عدة منها: نشوء حركة الترجمة التي بدأها ابن المقفع، وعناية الخلفاء والولاة بإنشاء المكتبات العامة، ولم تكن الدولة العباسية كسابقتها الدولة الأموية؛ فقد اعتمدت على عناصر عربية، وعناصر غير عربية كالعناصر الفارسي، والتركي، واليوناني، ولم يكن الفضل يعود لحضارة بعينها، بل يعود لفضل ما ترجم إلى لغاتهم من ثقافات .

كان التنافس بين المذاهب الفكرية والإتجاهات السياسية هو الذي أدى إلى تطور أساليب الجدل والحوار والمناظرات ومنه أحقية الخلافة بين العباسيين والعلويين ، وصراع المتكلمين من أشاعرة ومعتزلة، ولم تقتصر المناظرات على النواحي الدينية، كالزندقة والمانوية والزرادشتية بل تجاوزتها إلى الأمور السياسية، فظهرت الشعوبية وهي تنتقص من قدر العرب ومآثرهم، وتفتخر بالأعاجم ومناقبهم، وتصدى لهذه المحاولات الجاحظ وغيره من الكتاب.

وكانت الزندقة التي أظهرت الإسلام وأخفت الديانة الأم من السلبيات التي أثرت في المجتمع الإسلامي والعربي، فلم تكن هذه تهمة دينية، بل سياسية، فكان ابن المقفع والريحاني ممن اتهموا بها، ولكن ليس في أدبهما ما يدل على هذه التهمة . فلم يظهر في كتاباته أي أثر لها، وربما جاءت التهمة لإسباب سياسية أو لاختلاف في وجهات النظر، أو حسد من الوشاة على المكانة التي نالها عند المأمون، أو نتيجة الاختلاف المذهبي بين الريحاني ومن يطمح لهذه المكانة.

وصار إتقان اللغة العربية لا يقل أهمية عن إتقان الفارسية والهندية، خصوصاً للذين عملوا في الدواوين من غير العرب، مثل ابن المقفع وكان هذا من أسباب تفوقه ومقدرته اللغوية، مما جعل اللغة لديه طيعة مرنة سهلة في صياغته، فكان سبباً من أسباب فصاحته وبلاغته.

ولعل معظم الكتاب تأثروا بالإمام علي، كعبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، والريحاني والجاحظ وغيرهم، وكانت الإشارات التي صدرت من هؤلاء الكتاب تعترف بالفضل لصاحب الفضل، ووردت بعض الأقوال التي نسبت للإمام علي كما نسبت لابن المقفع.

وعبد الحميد يعترف بفضل أمير المؤمنين في أدبه، فحين سئل ما الذي مكنك منها أي

البلاغة؟ فقال: "حفظ كلام الأصلع يعني أمير المؤمنين"^(١). وفي قول آخر: - "حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت."^(٢)

وأشار معاوية بن أبي سفيان إلى ذلك بقوله: "والله ماسن الفصاحة لقريش غيره"^(٣)، والجاحظ يعترف أيضاً بفضل الإمام علي عليه حين كان يقول: "ما قرع سمعي كلام بعد كلام الله وكلام رسوله إلا عارضته إلا كلمات لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب."^(٤)

وكان الإمام علي يقول: "نحن أمراء الكلام وفينا تشبثت عروقه، وعلينا تهدلت أغصانه"^(٥)، ويكفي الإمام علياً فخراً أن يكون النبع الذي استقى منه علماء العربية البيان والفصاحة، "فمن معنى كلامه ارتوى كل خطيب مصقع، وعلى منواله نسج كل واعظ بليغ"^(٦).

والريحاني كغيره من أعلام عصره تأثر بالإمام علي كرم الله وجهه كما تأثر بابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، إلا أن تأثره كان بالمثالية والإنسانية والمواعظ والحكم، التي تصلح لكل زمان ومكان، فلا تخص عصراً دون عصر، ولا جيلاً دون جيل، وكانت أخلاقه وسلوكه مستمدة من تعاليم الإسلام ونصوصه، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف.

فكان التأثير بالموضوعات كما كان التأثير بالأساليب، وكانت بعض الموضوعات تكررراً لموضوعات عصره في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والروحية، فلم يترك مجالاً من هذه المجالات إلا خاض فيه، وإن اختلف مع الجاحظ في واقعيته التي تمثل عصره وبيئته بما فيها من سلبيات وإيجابيات، لكن الريحاني انطلق من السلبيات ليرسم المثال والقنوة فإن لم يكن في واقعه ففي خياله، وحاكى ابن المقفع في أساليبه واعتماده على وحدة الجملة وكان ابن المقفع ينطلق من حكاياته وقصصه على ألسنة الحيوانات، فكانت للعامة تسلية، وللخاصة عبرة وموعظة وفلسفة فلم يكن مقلداً فقط بل كان إلى جانب ذلك مبدعاً أو مبتدعاً له شخصيته وتفردته، وكان ابن المقفع يميل إلى الرمز وانتقاد بعض العيوب التي لا يستطيع أن يعبر عنها إلا إيماء وإيحاء، خشية تسلط أو جبروت أو تعسف، وهي السبب في هلاكه. لأنه كان يرى في نفسه مصلاً للأمة والسلطين لا للرعية أو العامة. وكان يريد من نصائحه ومواعظه أن يسدي النصيح للسلطان والخلفاء وينال منهم ويكثر من نقدهم، فصاحب الأشرار كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف.

(١) الجهشيارى، عبد الله بن محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، ط ١ مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٨٠

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٣) عبده، محمد، نهج البلاغة مقدمة محمد عبده في نهج البلاغة، ط ٧ ١٩٩٨ م، ص ٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٥) عبده، محمد، نهج البلاغة مقدمة الشريف الرضي في نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦.

وانظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، م ٨/١.

ولعل الصورة تكون أكثر وضوحاً، عندما ترى الصراع بين الخلفاء على السلطة، والتدخل الأجنبي من العناصر الفارسية والتركية في الخلافة، حتى صارت الخلافة اسمية في يد العباسيين، وفعلية في يد العناصر الدخيلة أو الأجنبية. ولعل بذور التدخل بدأت منذ استعان الخلفاء العباسيون بغيرهم، كالذي ينادي به ابن المقفع من سيادة القانون، وإنشاء دولة تضم مختلف العناصر لتسود بين أفرادها المساواة في الحقوق والواجبات ، مما دفع الأجانب إلى تأييد العباسيين من الشيعة في إنشاء الدولة على هذا الأساس، وفي هذا تعريض بالأمويين الذين جعلوا السيادة للعنصر العربي.

وكان للعناصر الدخيلة المتطلعة للخلافة أثر في الصراعات بين الخلفاء أنفسهم وأبنائهم، وأصبح الصراع داخلياً بين الأخوة، فكانت النتيجة في العصر العباسي الثاني أن قُسمت الدولة العباسية إلى دويلات متعددة، مما جعل الحياة الثقافية تزدهر ازدهاراً كبيراً على العكس من الحيلة السياسية والعسكرية، ويعود ذلك إلى التنافس الشديد بين الدويلات لجذب العلماء والمترجمين والكتب المترجمة، فكانت الحركة الثقافية في أوجها في زمن الدويلات.

وتغيرت البنى الاجتماعية فأصبحت الحياة المترفة اللاهية بارزة، سواء في إقامة القصور والبرك، ومظاهر الترف في المأكّل والمشرب واللباس، وأصبح الاختلاط والمجون ومجالس الشرب والغناء منتشراً، وأحيط الخلفاء والسلاطين بهالة من التبجيل والتعظيم كملوك العجم، وجمعوا بين الأصالة من ماضي العرب العريق وحضارتهم وتراثهم، والمعاصرة في التغيرات التي شهدتها المجتمع العباسي نتيجة الامتزاج الحضاري بين الحضارة الأم، والحضارات الوافدة والمؤثرة.

الفصل الأول : حياته وثقافته:

❖ اسمه ولقبه وكنيته :

هو علي بن عبيدة المعروف بالريحاني، وقيل الزنجاني تصحيفاً لاسمه^(١)، وقيل اللطفي أو المنطقي^(٢) ونسب بعض أجداده فيما أظن إلى بيع الريحان^(٣)، والمكنى بأبي الحسن^(٤).

❖ مولده ووفاته :

أجمعت المصادر على أن تاريخ وفاته سنة تسع عشرة ومائتين^(٥) وأشار ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، إلى الحوادث التي وقعت سنة تسع عشرة ومائتين، وقال : "وفيها توفي علي بن عبيدة الريحاني"^(٦)، وله مع المأمون أخبار، وكانت وفاة المأمون في سنة ثمانى عشرة ومائتين، وذكر ذلك التوحيدي في البصائر والذخائر والآبي في نثر الدر والحموي في معجم الأدباء.

أما ولادته فلم أجد أية إشارة إليها.

❖ ثانياً: نشأته :

نشأ الريحاني في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، والتقى فيها بالكتاب ورجال القصر، وكان ملازماً للمأمون مذكراً ولياً للعهد وانتقل معه إلى خراسان بعد الفتنة التي حدثت بينه وبين الأمين، وقد شهد الريحاني هذا الصراع فضلاً عما حدث بين المأمون وأبناء عمومته، حين ارتدى اللباس الأخضر، شعار العلوية، وحين عين أحد أئمة الشيعة علي بن موسى الرضا ولياً للعهد^(٧). وحين قضى المأمون على أخيه المناوئ بقيادة طاهر بن الحسين، كان الريحاني بصحبته، وظل مصاحباً للخليفة حتى وفاته : ونشأ في بلاطه، وحضر ما كان يعقد من مناظرات مع جلسائه.

وله مع الحسن بن سهل مواقف منها أنه وقف ببابه طالباً العطاء، وكان الحسن تجاهل ذلك، وكان هذا قبل أن تتوثق العلاقة بينه وبين الخليفة المأمون، وكان الحسن بن سهل وزيراً على بيت

(١) الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين الكنتي، غرر الخصائص الواضحة وعرر النفاص الغاضحة، دار صعب، بيروت، ص ٤٣٥.

(٢) التوحيدي، أبو حيان محمد بن العباس، ت ٤١٤ هـ، البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، ١٩٦٤، المجلد الرابع ص ١٦٢.

(٣) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي، ت ٥٦٢ هـ، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط ١، ١٩٨٨، ١١٣/٣.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، دار الذخائر قم ١٢/٤٨.

(٥) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٥٣ هـ، زهر الآداب وثمر الألباب، وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٦، ص ٣٥٤.

(٦) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، ت ٨٧٤ هـ، النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، ٢٣١.

(٧) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨ هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣، ص ٣١١.

مال الخليفة أو ديوان الخراج، والحسن بن سهل أقرب إلى الخليفة لكونه صهراً له لزواجه من ابنته بوران.

قال الريحاني: "أتيت باب الحسن بن سهل فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت إليه :

مدحتُ ابن سهل ذا الأيادي وماله بذاك يدٌ عندي ولا قدمٌ — بعدُ
وما ذنبُهُ والناسُ إلا أقلهم عيالٌ له إن كان لم يكُ لي جدُ
سأحمدُهُ للناس حتى إذا بدا له في رأيٍ عاد لي ذلك الحمدُ

فبعث إلي يقول : "بابُ السلطان يحتاجُ إلى ثلاث خلال : مال وعقل وصبر، فقلت للواسطة: تُؤدي عني؟ قلت : تقولُ له : " لو كان لي مالٌ لأغنائي عن الطلب منك، أو صبرٌ لصبرتُ على النذلِ ببابك، أو عقلٌ لاستللتُ به على النزاهةِ عن رفدك، فأمر لي بثلاثين ألف درهم^(١).

ولم يُعرف عن الريحاني أنه تقلد وظيفة أو منصباً، بل كان مستشاراً للمأمون على ما يبدو إذ أن الاختصاص يعني هذا، وقد منحه قربه من المأمون فرصاً أدبية وسياسية وفكرية، فعمل معلماً ومؤدباً في بلاط المأمون، وعاصر الأحداث السياسية والاضطرابات، والمناظرات الفكرية، منها بعض ما يتعلق بخلق القرآن، ومناصرة المعتزلة، وعلى رأسهم ثمامة بن أشرس، ويحيى بن أكثم، والجاحظ، وأحمد بن أبي دؤاد، وحين عاده الأخير بسبب مرض ألم به، قال له : يا أبا الحسن ما تشتهي؟، فقال : " أعين الرقباء، وأكباد الحساد، وألسن الوشاة، ^(٢) وهذا بيان بمدى المعاناة التي كان يعيشها نتيجة قربه من المأمون ، ومكانته عنده التي يغبطه عليها كل من كان يحلم بهذه المنزلة.

ثالثاً : ثقافته ومصادرها :

لعل الريحاني كغيره من أدباء عصره، قد تأثر وأثر في الحياة الثقافية ، فقد عاصر الجاحظ^(٣) والحسن بن سهل، وابن الزيات، وعمرو بن مسعدة، وإبراهيم بن عباس الصولي، والفضل بن سهل، وسهل بن هارون، وصريع الغواني، وغيرهم كثير.

وكانت الثقافة العربية الإسلامية هي المصدر الأول الذي اغترف منه الريحاني، فضلاً عن الثقافة المترجمة عن اليونانية، والفارسية، والهندية، وقد استوعبت الثقافة العربية الإسلامية الثقافات الأخرى، ونشأت حركة الترجمة بسبب روابط الجوار والقربى والسكن والمصاهرة.

(١) الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الرومي، ت ٦٢٦هـ، معجم الأقباء ط ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١، ١٧٩/٤.

(٢) الثعالبي، أبو منصور، ت ٤٢٩، الإعجاز والإيجاز ط ١ ، دار النفائس ، ١٩٩٢ ص ٣٦.

(٣) الحموي معجم الأقباء، مصدر سابق ، ١٧٨/٤ - ١٧٩.

فالعاصمة بغداد قريبة من بلاد الفرس، وكان اختلاط الأعاجم بالعناصر العربية في البصرة والكوفة، بحكم القرب والروابط الدينية والثقافية بين هذين المصرين والبلاد المجاورة، وقد أتقن اللغة العربية كثير من الأعاجم لسببين:

الأول ديني : لفهم الدين الإسلامي وأوامره ونواهيه والعبادة ومتطلباتها.
والثاني دنيوي: وهو العمل في دواوين الدولة، لازدهار الترجمة والنقل من ثقافتهم إلى الثقافة العربية، مع ما يرافق ذلك من إغداق للأموال وعطايا وهبات من الخلفاء للعاملين في ذلك.
ونشأ عن اختلاط الثقافات تيارات ومذاهب فكرية وعقائدية كالشعبوية، والزندقة، والاعتزال، والتصوف والفلسفة والمنطق وغير ذلك.

١- القرآن الكريم :

كان القرآن الكريم أكبر وأعمق مصادره، وبعض أقواله جاء تفسيراً لآيات كريمة، وكلنت مواظمه وحكمه تتبع من عقيدته الإسلامية، ولا أدل على ذلك من تعدد الآثار الإسلامية وخصوصاً معاني الآيات الكريمة كقوله : " الإمساكُ مع اللطفِ خيرٌ من البذل مع الجفاء " (١)، فالردُّ الجميلُ أفضلُ من العطاء مع الإساءة والتحقيق للسائل، لقوله تعالى : قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى " (٢)، وكذلك قوله تعالى : "وأما السائلُ فلا تنهر" (٣).

فكان القرآن قد أثر في مثالية الريحاني وإنسانيته، وجعل تعاليمه منهج حياته أولاً، وبعد ذلك يقدمها مواظم وحكمًا لمن درس أدبه، سواء أكان فرداً في جماعة، أم حاكماً أم خليفة، ونعم المصلح الذي يخاطب الناس على قدر عقولهم، والذي يبدأ بتأديب نفسه قبل تأديب غيره.
وقسم الحقوق وبدأ بحق الله على عباده، كالعبادة والتعظيم والشكر، وحق السلطان الطاعة والنصيحة، وحق المرء على نفسه البعد عن المعاصي وترك الشهوات، وحق الخلفاء الود والرحمة والعطاء، وإصلاح رعيته باللين والرفق وتجنبيها مواطن الهلاك، وحق العامة السمع والطاعة في غير معصية الله.

ومما ورد في قوله : "حقُ الله تعالى على الإنسان التعظيمُ والعبادةُ والشكرُ، وحقُ السلطان الطاعة والنصيحةُ ، وحقُ المرء على نفسه حُسْنُ الاجتهادِ ، وتركُ الذنوبِ، وحقُ الخلفاء الوفاءُ

(١) الريحاني، علي بن عبيدة، ت ٢١٩هـ، جواهر الكلم وفرائد الحكم، دار الكتب المصرية، ص ١٥٠. ٢٢٨/١
"مخطوطة"

(٢) البقرة، آية ٢٦٣.

(٣) الضحى، آية ١٠.

بالود وبذل المعونة والرغد، وحق العامة كف الأذى^١.

فحق الله : عبادته وتعظيمه وشكره؛ "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"^٢ والشكر "ولئن شكرتم لأزيدنكم"^٣ والطاعة : "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"^٤. والله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وبعث الرسل ليكونوا حجة على الخلق، وجعل الثواب والعقاب ليجازي المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء بذنبه "من عمل خيرا يجز به ومن عمل سوءا يجز به"^٥، "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"^٦، "ومن أحسن بنفسه بدأ، ومن أساء فعلى نفسه جنى"^٧.

وهو يؤمن بالثواب والعقاب وبارادة الإنسان واختياره ومسؤوليته عن أعماله، والنفس هي مصدر الآثام وعليها تقع تبعات ذلك، وكأنه يورد مضمون الآية الكريمة ومعناها الوارد في قوله تعالى : "من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد"^٨. ففعل الإنسان يترتب عليه الثواب والعقاب، لأن الفعل لابد له من فاعل، والفاعل ميزة الخالق بالعقل والفكر، ليدرك ما يضره وما ينفعه ويميز الخبيث من الطيب.

٢- الحديث الشريف :

لقد تأثر الريحاني بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى وأسلوبا، وهناك مواضع متعددة كان الأثر واضحا فيها ، حتى جاءت ألفاظ الحديث بعينها في أدبه، واختار الوسطية والاعتدال في نهجه وسلوكه، واحتكم لعقله لا لهواه، حتى جاءت معانيه منسجمة مع مبادئه وسلوكه وخصوصا في التحذير من الدنيا والهوى والإسراف، والأخلاق الذميمة : كالكذب والحسد والسعاية وغيرها.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٨٧ .

(٢) الذاريات، آية ٥٦.

(٣) إبراهيم آية ٧.

(٤) النساء، آية ٥٩.

(٥) انظر مخطوطة الريحاني ص ٢٥٢.

(٦) الزلزلة الآية ٧-٨.

(٧) انظر مخطوطة الريحاني ص ٢٩٧.

(٨) فصلت، الآية ٤٦.

"خمس يجب اغتنامهن قبل خمس، الحياة قبل الموت، والصحة قبل السقم، والفراغ قبل الشغل، والشباب قبل الهرم، والغنى قبل الفقر"^(١)، وورد في موضع آخر المعنى واللفظ "بادر في شبابك قبل هرمك، وفي صحتك قبل سقمك، وفي غناك قبل فقرك، وفي فراغك قبل شغلك، وفي حياتك قبل موتك"^(٢).

وهذا لفظ ومضمونه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"^(٣). كما ذكر أساس التعامل في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية، كالتجارة والسماحة في البيع والشراء دون غش أو خداع، ودون إسراف أو تبذير، وعدم ازدراء الصدقة مهما قلت قيمتها، والبعد عن الريبة، وترك الحديث فيما لا يعني، ووجوب رحمة الضعيف واليتيم والمحتاج. "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك تسلم حينئذ مما يريبك"^(٤) كقوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"^(٥).

وقوله: "ساهل إذا اشتريت أو بعت فإن العسر من سوء الخلق"^(٦) هو مضمون قول الرسول عليه السلام "رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى".^(٧)

وحدث والإسلام على الصدقة مهما قلت لأنها مواساة للفقير والضعيف كما حدث على الرحمة لمن هم دونك، فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا داعيا ومبشرا ونذيرا، فقال في حثه على الصدقة: "تصدقوا ولو بشق تمره"^(٨) وكان ما قاله الريحاني في هذا المعنى "تصدق بالقليل فإن الحرمان أقل منه، ولا تزهدن في يسير من البر، فإن الثواب يضاعف، وربما وقع اليسير منه موقع العظيم".^(٩)

والحسنة عند الله بعشرة أمثالها، وإن لم تكن مادية ولم تستطع عليها، فالعطف والرحمة واللين وحسن الخلق، والبشر والبشاشة عند اللقاء تقوم مقام الصدقة، فمن لانت كلمته وجبت

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١.

(٣) النيسابوري، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، بلا طبع، مجلد ٤، ص ٥٩٨، رقم الحديث ٢٣٩١.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ١٠٧.

(٥) الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد الرابع، دار الحديث، ص ٥٥٨، رقم الحديث ٢٣١٧.

(٦) انظر مخطوطة الريحاني ص ١٣٣.

(٧) البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، ضبطه وشرح ألفاظه ووضع فهارسه مصطفى زيب البغا، ط ٢، دار ابن كثير، ٧٣٠/٢، رقم الحديث ١٩٧٠.

(٨) الحجاج، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق خليل مأمون شيما، المجلد الثاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧، ص ٧٠٣، رقم الحديث ٧٠٣.

(٩) انظر مخطوطة الريحاني، ص ٢٧٧.

محبتة.

"والكلمة الطيبة ثلثين ما هو أقسى من الحديد، والكلمة الخسنة ، تُخشنُ من القلوب ما هو ألينُ من الحرير" (١).

"فأرحم من دونك يرحمك من فوقك، وأحسن إلى من تملكه يُحسن إليك من يملكك" (٢)، معنى قوله عليه السلام : "أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء والراحمون يرحمهم الله" (٣).

والصدقات أنواع متعددة، ولكل شيء صدقة، فصدقة العلم نشره وبذله، لمن هو بحاجة إليه، وصدقة الجاه مساعدة الناس وبذل المعروف، وصدقة النفوس حسن البشر واللقاء، وصدقة المال البذل والعطاء، ومن تصدق بالقليل جازاه الله بأفضل منه.

٣ - البيئة العربية :-

كانت البيئة العربية من مصادر ثقافة الريحاني ولا سيما أنه عاش وترعرع في كنف هذه الحضارة، ولم يكن تأثره بالحضارة العربية مجرد أقوال بل كان سلوكاً بفضل ثبات القيم والعرف والعادات والتقاليد التي تحكمهم حتى في جاهليتهم.

فالمجتمع الإنساني له روابطه وقيمه التي هي قوانين فطرية يتمسك بها الإنسان، ويدافع عنها ويضحي من أجلها، فصاحب الحاجة أولى بالسعي لها، والمنظر قد يكون خادعاً كالسراب، ورابطة الأخوة ليس من اليسير التخلي عنها، والعرض والمال أسباب الصراع، والإصلاح والصدقة من أسس النظام الاجتماعي.

وكانت البيئة العربية حاضرة في خياله في كل موقف من المواقف التي ذكرها، وتعبّر عن حياة العربي في كل مكان ويعتز بها.

فالإنسان يسعى للعلم، ولا يسعى العلم للإنسان، "فالعلم يؤتى ولا يأتي". وذكر الريحاني ذلك في قوله : "إن كنت إلى مدارس الحكماء محتاجاً، وفي مجاورة العلماء راغباً فسرّ إليهم وأنخِ بفنائهم فإن البهائم المحتاجة إلى الشرب هي السائرة إلى الماء، لا الماء يسيرُ إليها لغناه" (٤).

ولعل هذا ما يوضح وحدة الخلق أو وحدة الطبائع التي تجمع بين المجتمع الإنساني والمجتمع الحيواني، والدافع من وراء ذلك الغريزة والفطرة التي فطر عليها، فالحاجة هي التي تسيره إذا اجتمعت مع الرغبة.

وما يمثل البيئة العربية أصدق تمثيل، أن المظهر الخارجي قد يكون خادعاً لمن يرى

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرادى الحكم ، ص ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٤ .

(٣) الشيباني ، أحمد بن حنبل ، المسند ، المجلد الثاني ، دار صادر بيروت ، ص ١٦٠ ، رقم الحديث ٦٤٩٤ .

(٤) الريحاني ، جواهر الكلم وفرادى الحكم ، ص ٣١ .

السراب في الصحراء يحسبه ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئاً، فلا يحكم على الشيء لمنظره بل لا بد من أن يجربه ويختبره ليميز الخبيث من الطيب، وليعرف الجوهر وطيب معدنه "تميز الرجال يقع من أفعالهم لا من مناظرهم وعظم أجسامهم فإن النسر على عظمه لا يأكل إلا ميتاً، والبغاث من طير الماء على صغره يتحامى ميت السمك، ويختلس الحي منها فيغتدي به"^(١).

ويكاد يصل إلى خفايا النفوس، ويحلل نفسية الإنسان بطبعه، وما يؤثر عليه، ويصل إلى النتائج وفق المقدمات التي افترضها وليس من حكم على صدق هذه النتائج إلا النفوس التي جربت الحقائق التي توصل إليها "ثلاثة في المجلس وليسوا فيه، الحاقن بوله، والمريض جسمه، والمشغول قلبه، فاجتهد في إزاحة العلة قبل حضورك مجلس العلم"^(٢).

وبعض المجتمعات لديها عرف أو تقليد معين، ربما يصطدم المرء بهذه المجتمعات إذا خالف عرفهم، لذا فإنه يقدم له النصيح حتى يعيش في مأمن "سهل على نفسك مخالفة عادتك لما فيه الوصول إلى مصلحتك ومتى هبطت بلداً أهله على غير ما تعرف، وأنت على غير ما يعرفونه، فاترك كثيراً مما تفعل، وافعل كثيراً مما يفعلون، فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم فكيف بمن لم يدار"^(٣) ؟.

ولعل الأقوال والحكم الماثورة تؤيد ما ورد عند الريحاني وكثيراً ما نسمع "دارهم مادمت في دارهم"، ومثل هذه التقاليد ربما كثير منها قد يتفق مع نظرة الدين، ولا تتعارض مع ما جاءت به الشرائع.

والخوف من العقوبة لا يكفي معها البكاء، بل لا بد من التوبة والندم على ما اقترفه من الآثام، "ومن لا يفرق بين الحق والباطل فلا فرق بينه وبين البهائم التي لا تعقل، ومن نصر الحق، نصره الله، ومن غالب الحق غلبه، ومن استهان بالدين هان على نفسه وعلى الناس، كما أن

(١) انظر مخطوطة جواهر الكلم وفرائد الحكم / مصدر سابق ص ٦١.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

الإنسان مرأه قلبه وهو كالآنية من الخزف ما يكون فيها يرشح^(١)، فكل ما ورد من أقوال يمكن أن تكون أخذت من تعاليم الإسلام أو آيات أو معانيها، فالذي لا يميز بين الحق والباطل فالحقه بالبهائم "إن هُم إلا كالأنعام بل هُم أضل سبيلاً"^(٢)، ونصر الله لا يتأتى إلا لمن نصره "يا أيها الذين آمنوا إن تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"^(٣)، والقلب بين يدي الخالق يقلبه كيف شاء "وهديناه النجدين"^(٤) والدعوة للخير والحق خلق اسلامي قام به الرسول عليه السلام وصحابته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وقد حث عليه الريحاني في مواظبه وأقواله متمثلاً قوله تعالى : "ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"^(٥).

فلم يكتف بتأثره ببيئته العربية بل تأثر بالتعاليم السماوية وكما تأثر بهذه فقد تأثر بالثقافات والحضارات الأخرى وظهر هذا التأثير في نثره واضحاً جلياً ويمكن استعراض ذلك في تأثره.

٤- الثقافة الفارسية :

لعل الثقافة الفارسية كانت من مصادر الثقافة العربية الإسلامية؛ بحكم الجوار، والمصاهرة والاختلاط، وترجمة المؤلفات الفارسية إلى اللغة العربية خصوصاً ما يتعلق بأنظمة الحكم، والسلطين والملوك، وقد تأثر العرب بالعادات والتقاليد والأعياد، وطرق اللباس والمطاعم والمشارب ولم يكن الفضل للثقافة الفارسية فحسب بل لما ترجم إليها من ثقافات.

ولم يكن الريحاني بمنأى عن هذه المؤثرات، فتحدث عن الراعي والرعية، وتحدث عن السلاطين والملوك، والخليفة والوالي والإمام، فيقول: "صُحبة الوالي الذي لا يُريد صلاح رعيته أنت فيها مُخَيَّرَين أمرين إما الميلُ مع الرعية عليه، وهذا هلاك الدنيا، وإما الميلُ معه عليهم وهذا هلاك الآخرة"^(٦).

وكانت الثقافة الفارسية قد أثرت بطريقة مباشرة عن طريق القرب والاختلاط، وطريق غير مباشر عن طريق الترجمة، والنقل والتأليف والوضع، وكان كثير ممن عمل في دواوين الدولة من غير العنصر العربي كابن المقفع، وغيره، سواء من الفرس أو الاتراك،

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ، ص ١٥٦ .

(٢) الفرقان، الآية ٤٤ .

(٣) محمد، الآية ٧ .

(٤) البلد، الآية ١٠ .

(٥) النحل، الآية ١٢٥ .

(٦) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق، ص ١٥٦ .

فترجم ابن المقفع كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية، كما ترجم "خداي نامه"^(١) وهو ما يتعلق بسير الملوك الفرس، وكتب الريحاني كتاب "أخلاق هارون الرشيد"^(٢) تأثراً بذلك، وترجم ابن المقفع "آيين نامه"^(٣) وهو القانون أو النظام الداخلي للدولة، وعلى نهجه سار الريحاني فكانت بعض المؤلفات تحمل أسماء غير عربية إما لشخصيات فارسية أو شخصيات أخذ عنهم "كيلهر آسف"^(٤) "روشناندل"^(٥) "مهرزاد خشيش"^(٦).

وقد حاول الفرس ومنهم ابن المقفع نقل النظم الإدارية والقانونية إلى الدولة الإسلامية، وحاولوا تطبيق ذلك على الخلافة الإسلامية، وأحاطوا الخلفاء بنوع من التعظيم والتبجيل، فانتقلت الدولة من نظام البداوة إلى نظام المدنية والحضارة، ووضعوا نظمهم كأساس للتعامل مع الخلفاء والأمراء "غيبه السلطان لا تقل فيها مالا تقول بحضرته، فإن مغيبه يحترم كما يحترم مشهده"^(٧)، "واصحب الملوك بالهيبة، وسلطان تخافه الرعية خير" للرعية من سلطان يخافها، وصاحب الملوك بكتمان الأسرار وإرشاد الأفعال وتقريب الأعمال، وحسن المحضر، وتسليم الفضائل"^(٨).

ففي ذلك يدعو إلى توثيق العلاقة بين الراعي والرعية، وبين أفراد الرعية فيما بينهم، وكذلك النظر للخلفاء والأمراء بعين القداسة في حضورهم ومغيبهم، وحاشية السلطان وبطانته ربما كانت تسيء له أو تتعمد الإساءة، فهم كالتماسيح في الماء الطيب الذي لا يقدر أحد أن يتناوله "إن السلطان إذا كان صالحاً ووزراءه وزراء سوء منعوا خيرته فلا يقدرون أن يتناولوه، فبالبحر بأمواجه، والسلطان بأصحابه"^(٩).

وابن المقفع هو الذي ترجم كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية، وما ورد من حكم ومواعظ وأدب كان تراث مختلف الحضارات، ولا يعرف وجود فواصل بين أثر الحضارات، لأن التأثير والتأثير كان متبادلاً بين الحضارات، ولا يعود الفضل للحضارة الواحدة بل لما ترجم لها من لغات أخرى.

(١) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٥، دار المعارف - مصر، ص ١٣٨.

وانظر عبد اللطيف حمزة، ابن المقفع، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٥، ص ١٧٢.

(٢) ابن النديم، الفهرست، تحقيق شعبان خليفة، وليد محمد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، المجلد الثاني، ١٩٩١ ص ٢٠٣.

(٣) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٤) ابن النديم، الفهرست، تحقيق شعبان خليفة، وليد محمد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٢٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٧) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ١٩٥، ص ٢٨، ١٣٧.

(٨) المصدر نفسه ص ١٥٣.

(٩) ابن المقفع، عبدالله، ت ١٤٣، كليلة ودمنة، قدم له فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٦، ص ١٨٨.

فكتابه ظاهرة لهو للخواص والعوام ، وباطنه رياضة العقول الخاصة وضمته ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته ويميل في كتابه إلى الرمز والتلميح والإيماء، وكانت إشاراته ورمزيته وإبداعه وراء قتله "قرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ما يعجز عنه كثير، والريح الشديدة لا تعبا بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر"^(١).

فالقوة والضعف لا تعني القوة الجسمانية بل القوة العقلية الفاعلة التي يتعدى أثرها الانفعال، ورد الفعل فيبلغ بإدراكه وحيلته ما لا يبلغه الشجاع بسطوته، فإذا اجتمعت القوتان في وقت نزول القضاء- وكان من الأثر الإسلامي في ثقافة ابن المقفع- فلا راد لحكم الله وقضائه فمن مأمنه يؤتى الخدر، وربما كان تدميره في تدبيره لأن "أشد الناس في توقّي الشرّ يصيبه الشرّ قبل المستسلم له"^(٢).

وتأثرت الحضارة العربية بالحضارة الفارسية، كما تأثر الريحاني كغيره بالحكم والمواعظ والنصائح التي كان لها صدى في نثره، وهذه الحكم ربما تصلح لكل زمان ومكان، كما أنها لا تخص ديناً أو أمة من الأمم، فكانت مثالية إنسانية تهدف إلى إصلاح الفرد ليصلح النظام الاجتماعي بشكل عام، وليبعد عن العيوب والأخلاق الرذيلة "كن حذراً من الكريم إن أهنئه، ومن اللئيم إن أكرمته، ومن العاقل إن أخرجته، ومن الأحمق إن مازحته، ومن الفاجر إن عاشرتة"^(٣). وأشار في ذلك إلى طريقة معاملة الناس، وما يصلح لكل واحد من معاملة فلا يعامل الكريم كاللئيم، ولا البر كالفاجر، ولا الصحيح كالسقيم، ولا الأخيار كالأشرار، ولا الخاصة كالعامّة، فتراعى إنسانية الإنسان أولاً إكراماً لإنسانيته وهناك خصوصية ودرجات لفئات متفاوتة من طوائف الشعب "سُسْ خيارَ الناس بالمحبة، وامزجْ للعامّة الرغبة بالرهبة وسُسْ سفلة الناس بالإخافة"^(٤) ولا يتسع المجال لذكر الحكم كافة.

فكان الامتزاج بين الحضارة الأم وبين الحضارات الوافدة والمؤثرة، وبين الشعوب الإسلامية والشعوب الأعجمية التي اعتنقت الإسلام ديناً، واتخذت العربية لغة لا يقتصر على الأثر الثقافي فحسب، بل امتدت آثاره إلى مختلف المجالات. فظهر في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فكان تعظيم الملوك، والترف والإسراف والزندقة والمجون من بين هذه التأثيرات.

٥- الثقافة اليونانية :-

أثرت الثقافة اليونانية كغيرها من الثقافات في الثقافة العربية الإسلامية بطريقة غير

(١) ابن المقفع، عبد الله، ت ١٤٣هـ، كليله ودمنه، مصدر سابق، ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه. ص ٢٠٤.

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٧.

مباشرة عن طريق الترجمة وبخاصة الأفلاطونية منها، وكان من أثارها افتتانها بالعقل وتنوع الفرق وتعددتها مع غلبة الاعتزال، ونشأت حلقات الدرس والمناظرة والجدل والحجة على يد المتكلمين.

وبرز منهم على سبيل المثال : الجاحظ، وثمامة بن أشرس، ويحيى بن أكثم ، الذين كان لهم أثرٌ كبيرٌ في إقناع المأمون بالاعتزال^(١).

"زيادة عقل الرجل على لسانه فضيلة، وزيادة لسانه على عقله رذيلة"^(٢)، وصفات العقائل أن يحلمَ بمن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابقُ إلى البرِّ مَنْ فوقه ولا يفارقه الخوفُ، ولا يقارنه الحسدُ، ويتكلمُ بعد تدبر، وإذا رأى فضيلةً أشهرها، وإذا عَرَضَتْ له فتنة استعصمَ منها"^(٣). وترجمت كثير من كتب الفلسفة التي تدعو إلى إصلاح شامل يقوم على المنطق، والعقل ميزان الحكم وخاصة عند المتكلمين، فلا يفرح بمال قلَّ أو كَثُرَ، وإنما ماله عقله "عقلك أمامك يقودك إلى الهدى، ويعصمك من الردى، وخير المواهب العقل، وشرُّ المصائب الجهل"^(٤).

وكان من أثر الثقافة اليونانية الاعتماد على العقل وتغليبها على جانب الهوى، والعقل عنده قسمان مطبوع ومصنوع، ولا يُدرك المصنوع إلا بوجود المطبوع، والعقل والهوى ضدان لا يجتمعان.

"هوى الإنسان ضدُّ عقله وهما يتجاذبان، فأيهما غلبَ مَالٌ بصاحبه فإذا أردتَ أمراً فقلل أحدهما لا، وقال الآخر نعم، فأطع الذي نهاك"^(٥) ومثل هذا قوله: "إذا غلبَ عليك عقلك فهو لك، فإذا غلبَ هَوَاك فهو لعدوك"^(٦).

وحدد للعقل مكانين لا ينبغي أن يخلو منهما إما مع الكرماء، وإما مع الرؤساء فالعقل غنيمة، وربحه طاعة الخالق وبه يدرك خير الدنيا والآخرة.

وكان تأثير المنطق اليوناني في تقسيمه إلى عقل مطبوع وعقل مصنوع وما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات، وإن تميز به فلا غنى له عن عقول الآخرين "ولا عقل لمن ظنَّ أنَّ في عقله ما يغنيه عن غيره، وشتانَ بين عقلٍ وافرٍ معه عقولٌ كثيرة، وعقلٌ وافرٌ لا زيادة معه"^(٧).

(١) الاسفراييني، عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي، ت ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ص ١٧٢.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٧.

(٦) المصدر نفسه ص ١٧.

(٧) المصدر نفسه ص ٤٦.

ونتيجة لهذا التأثير دخلت بعض المصطلحات الفلسفية كالعقل المطبوع والعقل المصنوع، والقياس بالعلوم اللغوية والعلوم الإسلامية كالقياس الفقهي، والتفسير بالتأويل، وتعددت الفنون الأدبية كالخطابة السياسية والنثر العلمي، والفلسفي والجدل والمناظرات والقول بأحقية الخلافة للعباسيين، والأخذ بالبرهان والدليل من أجل الإقناع "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض"^(١)، وكن الرد على الشعوبية والزنادقة والدهرية، ولم تقتصر هذه المناظرات على الأمور الدينية بل تعداه إلى شؤون الحياة الأخرى، فلا يقبل الرأي أو الإتهام أو إقامة عقوبة دون دليل.

٦- الثقافة الهندية :

أثرت الثقافة الهندية بطرق عدة، في الثقافة العربية الإسلامية، إما بترجمة المؤلفات الهندية إلى العربية أو إلى الفارسية ومنها إلى الحضارة العربية الإسلامية، وإما بالاحتكاك المباشر عن طريق التجارة والفتوحات.

ويظهر أثر الثقافة الهندية في التنسك والزهد والتصوف لكن يختلف عن الزهد الإسلامي بأخذ أنفسهم بشيء من الحرمان والقسوة، فضلاً عن أن الزهد في الثقافة الهندية زهد في الدنيا لذاتها، وكان الزهد الإسلامي زهداً في الدنيا لما بعدها، أو لثنتين معاً.

"فلک من الزهد في الدنيا الكرامات والراحات، وفي الآخرة المقامات ورفيع الدرجات"^(٢)

والثقافة الهندية يبرز ما فيها من حكمة وأخلاق وأدب من خلال ما ترجمه ابن المقفع من مؤلفات، ولا يختلف أثر الثقافة الهندية في ذات الله، وفي الإنسان وأفعاله، ويتفق إلى حد كبير مع الثقافة العربية الإسلامية إذ اهتمت هذه الثقافة بالجانب الروحي، كما اهتمت الحضارة الفارسية بهذا الجانب.

"زهّدك تحتاج فيه إلى خمسة أشياء أن تزهد في ملبوس آخره إلى المزابل، وتزهد في مطعم آخره إلى الحش، وتزهد في جمع مال آخره إلى الوارث، وتزهد في جمع آخره إلى الفراق، وتزهد في دنيا آخرها إلى الفناء"^(٣).

♦ اتجاهه الفكري :

اجمعت المصادر على أنه اختص بالمأمون منذ كان ولياً للعهد، وأتهم بالزندقة، وانتقل مع الخليفة المأمون إلى خراسان، وكان الخليفة يعتقد بخلق القرآن، وعاصر الفتنة التي حدثت بين

(١) الأنفال آية ٧٥.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

الأمين والمأمون، وكان من أسبابها ميل المأمون إلى العلويين^(١)، وقد قرّب الريحاني، واعتبر من خاصة جلسائه، وليس هناك من دليل أو سبب لاتهامه بالزندقة، إلا ما ذكره التوحيدي، وهو علاقته مع الجوّاري في فترة صباه، ولعل هذا السبب لم يكن مقنعاً وقد ذكرت الإشارة إلى ذلك في ملامح شخصيته.

ومما ورد في البصائر أن الريحاني قد أقلع في شيخوخته عن عادته في شبيبته وسلك طريق الزهادة وتنسك آخر عمره^(٢).

ويظهر من كلام التوحيدي، أنه قسم حياته إلى طورين: - طور الشباب، وطور الشيخوخة لكن لم يكن هناك من نصوصه وأقواله ما يدل على زندقته، وكانت هذه التهمة سياسية لقربه من الخليفة المأمون ولمنزلته عنده، ولميل المأمون للعلوية ولبسه للخضرة بدلاً من السواد، وتعيين علي بن موسى الرضا ولياً للعهد، مما أثار سخط العباسيين^(٣).

وذكر التوحيدي بعد ذلك "ولست أعرف كنه مذهبه وحقيقة شأنه"^(٤)

وتأثر بالمنطق من خلال قربه من بلاط الخليفة ورجالات القصر، وقرب الخليفة من أئمة الاعتزال، وتأثيرهم على الخليفة، واقناعه بالاعتزال، فقد كان متأثراً بهم أو ميله لهذا الاتجاه، وتؤكد بعض أقواله عنايته بالعقل والمنطق والجدل والحجة، ونذكر بعض هذه الأقوال التي تؤيد ما نذهب إليه. "العقل ملك"، والخصال رعيته، فإذا ضَعَفَ عن القيام عليها وصل الخل إليها^(٥).

فالعقل هو القائد والمرشد والدليل، وهو سبب التكليف، فإذا ما أراد المرء إثبات واقع أقام عليه الدليل واستخدم الحجة، فالعقل جوهر الاعتزال وأساسه، فلذلك كانوا يلجأون للتأويل ولا يقبلون بظاهر الأشياء، وربما تأثروا بالفلسفة والمنطق، فتأثر الريحاني بكتاب عصره كما تأثر بمتكلمي عصره، ورجالات القصر حتى كانت بعض أقواله منطقية الطابع "كفى بموت الأبناء شاهداً على موت الأبناء وكفى بالنبات مخبراً بالحصار"^(٦).

وقال لرجل يعزيه عن ابنه: "كان أبوك أصلك، وابنك فرعك، فما بقاء شيء ذهب أصله

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان، ت ٧٤٨هـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مصدر سابق، ص ٢٢٨.

(٢) التوحيدي، ٤١٤هـ البصائر والذخائر، مصدر سابق، م ١٦٢/٤.

(٣) انظر تاريخ الإسلام، ص ٢٢٨.

(٤) انظر البصائر والذخائر، م ١٦٢/٤.

(٥) الأبي، أبو سعد منصور بن الحسين، ت ٤٢١هـ، نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنه، ط ٥، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٥، ١٦٨/٤.

(٦) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

ولم يبقَ فرعه^(١) .

فهو يقيم الحجة والدليل ليثبت الفكرة التي يريد الوصول إليها، ولا ينكر أحد الموت ونهاية كل مخلوق هو الموت، ولكن هو يستدل من موت الآباء ويتخذ دليلاً على موت الأبناء، وربما مثل هذا الأسلوب لا يعتمد أداة له إلا العقل، ولا يمكن أن يكون الدليل مؤثراً إلا إذا كان مقنعاً، وإقناعه لأنه واقع ملموس لا يخفى على أحد ووظفه في أدبه لإثبات المعنى.

وفي موقف آخر يوازن بين الخوف من الناس، والخوف من الله، ويصل إلى نتيجة أن الخوف من الناس يؤدي إلى الهروب منهم، بينما الخوف من الله لا يشبه الخوف من الناس وهو على النقيض لأن الخوف منه يكون باللجوء إليه ، "خوفُ الله لا يشبهُ الخوفُ من الناس، لأنَّ مَنْ خَافَ شيئاً هَرَبَ مِنْهُ ، وَمَنْ خَافَ اللهَ هَرَبَ إِلَيْهِ"^(٢) .

فهل هناك من دليل غير ذلك الدليل الذي يقرب فيه المعنى للانسان؟ والحجة التي لا ينكرها أحد، حين يثبت فكرته بدليل أو برهان واضح من مشاهدات الإنسان وواقعه، واستنباط هذه الأدلة، ربما دلت على فكر ثاقب وبصيرة نافذة، فكم مشهد يمر على الإنسان لا يلقي له بالاً يكون عبرة وموعظة ومادة للبيب مجرب! ليصوغها ويوظفها لتنبه غافل، ويجعل منها علماً بفضله فكره وإطلاعه وتجربته، فهو لا يقبل الأشياء بظاهرها، بل يبحث في جوهر الأشياء وأسبابها ليتوصل إلى نتيجة ربما كانت غائبة عن كثيرين.

* ملامح شخصيته:-

لعل ما يميز شخصية الريحاني روح الدعابة والفكاهة والظرف التي كان يتحلى بها، فضلاً عما كان يتمتع به من حدة في الذكاء وسرعة في البديهة والفتنة في حكمه ومواعظه التي عمّر بها القلوب.

وقسم التوحيدي حياته إلى طورين :-

الطور الأول : وهو ما اتسم به من دعابة وفكاهة وظرف في شبابه.

الطور الثاني : وهو طور الشيخوخة وهو ما عرف به من زهد وتنسك "إنه أفلح في شيخوخته عن عادته في شبابه وسلك طريق الزهادة"^(٣) .

فكان في الطور الأول على علاقة بالجواري، وربما كان هذا سبباً من أسباب اتهامه بالزندقة، ولكن الزندقة كانت تهمة سياسية وليست دينية، فالرجل كان على علاقة مع الجواري في

(١) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٣، ٢٧٣/٤ .

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٩٣ .

(٣) التوحيدي، البصائر والذخائر، مصدر سابق، ١٦٢/٤ .

وضح النهار، حتى أنه يؤخر الصلاة عن وقتها بسبب انشغاله بالحديث مع الجارية، ولو كانت التهمة بالزندقة تطلق على من أقام علاقة مع الجواري لأصبحت هذه عامة في المجتمع الذي فيه الاختلاط والقيان والجواري واللّهو، ولا يكاد يخلو قلب رجل من أن يتعلق بسهم حلال أو حرام بامرأة.

قال أحمد بن أبي طاهر "كنتُ في مجلس بعض أصدقائي، وكان معي عليّ بن عُبيده الريحانيّ، وفي المجلس جارية كان يُحبها عليّ، فجاء وقت الظهر، فقمنا إلى الصلاة، وعليّ الجارية في الحديث، فأطالا حتى كادت الصلاة تفوت، فقلتُ يا أبا الحسن، قم إلى الصلاة، فأوماً بيده إلى الجارية، قال: حتى تزول الشمس، أي حتى تقوم الجارية فعجبتُ من كُنائته".^(١)

ولعل مثل هذه العلاقة التي أقامها مع الجارية، ليس فيها ما يشينها، وقد تكون الحياة الاجتماعية والترف واللّهو وراء الاختلاط وكثرة الجواري والقيان في المجتمع العباسي. ويروي له أيضاً أنه سمعه يقول لامرأة من أهل القصر "إن قلبي قد قرغ من الهوى وخلا حتى كاد يخرّب من الجوى، وأنا التمسُ له ساكناً فهل لك أن تكوني من سكانه؟"^(٢).

ومثل هذا الكلام يطلقه أي رجل يريد العفاف، أو ربما وقعت في قلبه مثل هذه المرأة، ولشدة إعجابه بها صارحاً بهذا القول ولا يخشى بذلك ريبة أو خوفاً. وله موقف آخر مع جارية أخرى إذ قال "لولا البقيا على الضمائر لبُحنا بما تُجنّهُ السرائر، لكن نيران الحب تُتدارك بالإخفاء، ولا تُعاجلُ بالإبداء، فإن دَوامها مع إغلاق أَبواب الكِثْمان، وزَوَّالها في فتح مصارع الإعلان"^(٣).

فالعلاقة تقوم على العفة، والمحافظة على دوام العلاقة بينه وبين الجارية، فيتحاشى أن يبوّح بالعلاقة بينهما خوفاً من انقطاع الود بينهما، وخوفاً من الوشاة، بالرغم من اللّهو والمجون والاختلاط. إلا أن هذا لا يعني أن المجتمع كله يؤثر مثل هذه العلاقات، فربما كانت هذه العلاقات نزوة عارضة في حياة شخص ما، لكن لن تكون سلوكاً غالباً.

ولم يقتصر في أحاديثه على مداعبة الجواري فقط، وإنما على معاتبته أصدقائه، فهذا هو يعاتب صديقاً له من قطيعة الربيع "اسم مكان لا نقطاعه عن زيارته، فقال: يا عَجَباً أَعَاتِيكَ على القطيعة وأنت من أهل القطيعة!".

(١) التوحيد، البصائر والذخائر، مصدر سابق، ١٦٢/٤.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مصدر سابق، رقم ٢١/٤.

(٣) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٥٣ هـ، زهر الآداب وثمر اللباب، منشورات، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦، ص ٣٥٦.

وإذا سلك طريق اللهو والفكاهة في بداية حياته وخلال شبابه، فنجد على النقيض من ذلك في الطور الثاني من حياته، وهو ما يتصف به من حدة الذكاء، وسرعة البديهة، وحضور الذهن وزهد بالدنيا وزخرفها، فنجد من كان يتوانى عن الصلاة وينشغل بالأحاديث مع الجواري، يشغل نفسه بالورع والتقوى، "مَنْ شَغَلَ جَوَارِحَهُ يَغْيِرَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، حُرِّمَ الْوَرَعُ" (١).

وفي موقف تعليمي بحضرة المأمون جمش غلاماً "قرصه" وراه الخليفة فأراد أن يعلمه بأنه رآه ففرق أصابعه خمسة تصحيفاً لجمشه مما يدل على نباهته وسرعة بديهته. ومن طريف ما يروى عنه، أنه كان بحضرة المأمون فجمش غلاماً فأرهما المأمون، فأحب أن يعلم هل علم علي أم لا ؟ فقال له : أرايت ؟ فأشار علي بيده، وفرق أصابعه، أي خمسة وتصحيف جمشه " (٢).

مكانته الأدبية والعلمية عند القدامى :

عده صاحب تاريخ بغداد أحد البلغاء الفصحاء (٣)، وهناك من فضله على الجاحظ بوصفه أحد المتكلمين (٤).

وكثير من أقواله رواها أحمد بن أبي طاهر ، ووصفه صاحب زهر الآداب، "أنه كثير الإغارة على أقوال غيره حتى اعتبره لص كلام" (٥)، وكثيراً ما يورد عبارات غيره بنصوصها لكنه لا يقتصر عليها بل يضيف من إبداعه.

وأرسل مجموعة من الأبيات إلى إسحاق الموصلي، فقال : إنها عارية فغنى بها (٦)، واتصل بالحسن بن سهل طالباً العطاء عندما كان وزيراً عند المأمون.

وأما أبو القاسم المغربي (ت ٤١٨هـ) الوزير الفاطمي فقد نقل أقواله من تسعة عشر

(١) الريحاني، مخطوطة جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ٢٥٤. ورد عند الحديث عن خصائصه الفنية (الظرف والدعابة).

(٢) الحموي ، معجم الأدباء، مصدر سابق ، ١٧٩/٤.

(٣) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، ت ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٨/١٢.

(٤) الحموي ، معجم الأدباء، مصدر سابق ، ١٧٩/٤.

(٥) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٥٣ هـ ، زهر الآداب وثمر اللباب، مصدر سابق ، ٤٢١/١ .

(٦) التوحيدي ، البصائر والذخائر ، مصدر سابق ، ص م ٣٧٩/٢ .

مصنفاً، وذكر أن أقواله يجب أن تصان كما تصان أسرار الحكمة وعلم الكيمياء^(١).

وأجمعت المصادر على أنه صنف الكتب في الحكم والأمثال. وله أدب وفصاحة وبلاغة وحسن عبارة وكان كاتباً بارعاً. وتصانيفه تدل على فلسفته، وافر الأدب، كثير الفضل، مليح اللفظ، حسن العبارة، أديب، كاتب، شاعر، لغوي^(٢). فكان طرفاً فاعلاً ولم يعيش بمعزل عن محيطه السياسي والثقافي والاجتماعي. وكان له طابعه الخاص الذي يعبر عن شخصه وحياته. أما من حيث مكانته العلمية فقد فيلسوفاً، وأصبح أحد أعيان المعتزلة بحكم اختصاصه بالمأمون، كالجاحظ، وثمامة بن أشرس ويحيى بن أكثم، وميله للعقل والجدل والحجة والمنطق، وكان أحد أسباب تفضيله على الجاحظ، ربما القول بأنه يميل للتركيب لا للتحليل والجاحظ يميل للتحليل وليس للتركيب^(٣).

وكان مقلاً في الشعر، ومنه ما كان من حوار له مع الحسن بن سهل، وبيتين آخرين وردا في " النجوم الزاهرة " فلم يكن شعره بمستوى نثره ..

تهن بمنزليك وجود بذل سعودك فيهما خبرا وخبرا
فمن دار السعادة كل يوم إلى دار الهنا و هلم جرا^(٤).

آثاره وقيمتها :-

كثرت آثاره لكن لم يبق إلا اسمائها وبعض أقواله ومن آثاره:

١-المصون.

(١) التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢١/٤.

(٢) انظر مصادر ترجمة حياته :

أ- الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، ١٧٩/٤ .

ب- التوحيدي، مصدر سابق ، البصائر والذخائر، دار صادر بيروت، ١٩٨٨ /٤٢١.

ج - البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، ت ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٧٨/١٢.

(٣) الحموي ، معجم الأدباء، ١٧٨/٤ .

(٤) إحسان عباس ، مجلة يصدرها مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية لسنة ١٩٨١/٢٩م بيروت لبنان، ص ٥ .

(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين، أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ٢٣١/٢.

- ٢- التدرج.
 - ٣- زائد الرد-رايد الرد.
 - ٤- المخاطب.
 - ٥- الطارف- الطارق.
 - ٦- الهاشمي.
 - ٧- الناشي.
 - ٨- الموشح.
 - ٩- الجد- الحد.
 - ١٠- شمل الألفة.
 - ١١- الزمام.
 - ١٢- المحلى- المتخلي.
 - ١٣- الصبر.
 - ١٤- صفة الجنة.
 - ١٥- الأنواع.
 - ١٦- النكاح.
 - ١٧- الإيقاع.
 - ١٨- صفة الدنيا.
 - ١٩- كيلهر أسف.
 - ٢٠- الخصال- الخنصال.
 - ٢١- المسائل- المشاكل.
 - ٢٢- الإخوان.
 - ٢٣- المعاني.
 - ٢٤- البرزخ.
 - ٢٥- الحك.
 - ٢٦- صفة الرماء.
 - ٢٧- الموكل والمهيب.
 - ٢٨- ابن الملك - أنس الملك - أبين الملك. وفي هذا تصحيف واضح وسببه عدم وجود هذه المؤلفات.
-

- ٢٩- الأجواد.
- ٣٠- أخلاق هارون.
- ٣١- أدب جوانشير.
- ٣٢- الأصناف.
- ٣٣- امتحان الدهر.
- ٣٤- الأوصاف.
- ٣٥- الجمل.
- ٣٦- خطب المنابر.
- ٣٧- الخطيب.
- ٣٨- روشنائدل.
- ٣٩- السمع والبصر.
- ٤٠- سناء وبهاء - سناوبها - سناريها. والإسم الأول هو الذي يرجح لوروده في أكثر من مصدر.
- ٤١- شرح الهوى ووصف الأخاء.
- ٤٢- صفة العلماء.
- ٤٣- صفة الفرس.
- ٤٤- صفة النمل والبعوض أو صفة النملة والبعوضة .
- ٤٥- الطاوس.
- ٤٦- العقل والجمال.
- ٤٧- الغيبة - النبيه
- ٤٨- فضائل اسحق.
- ٤٩- المجالسات.
- ٥٠- المخاطب .
- ٥١- مدح النبيذ.
- ٥٢- المشجى.
- ٥٣- المعاقبات - المعاتبات.
- ٥٤- الوشيح.
- ٥٥- اليأس والرجاء.
- ٥٦- ورود ودود الملكين.
- ٥٧- مهرزاد خشيش - مهرزادقراحيسيس - نهرارد حسبس . وهي أسماء لشخصيات فارسية نقل عنها

٥٨- خ جواهر الكلم وفرائد الحكم. سبق التعريف بها في الملخص.

تعددت آثاره، وتعددت موضوعاتها، وتكاد تكون صدى لمؤلفات سابقه من حيث التسمية والمضمون، وعلى رأسها مخطوطته "جواهر الكلم وفرائد الحكم، التي وفقني الله في الحصول عليها، بعد مخاطبة دار الكتب المصرية من قبل القسم في جامعة آل البيت.

ومصنفاته تعرضت للتصنيف والضياع، ولا نعرف السبب في ذلك وكان التصنيف لعدم وجود هذه المؤلفات، وأسباب الضياع قد تكون متعمدة أو وراء ضياعها أسباب فكرية أو مذهبية. وهذه المصنفات كثيرة عد له ابن النديم ستة وخمسين كتاباً^(١)، ونقل ياقوت الحموي ثلاثة وخمسين منها باستثناء كيلهر أسف والخصال والإخوان وزاد في معجمه مصنف المعاني^(٢).

وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات ما ذكره الحموي في معجمه أما روضات الجنات فلم يورد فيه غير ثمانية عشر (١-١٨) مصنفاً^(٣). وأما صاحب كشف الظنون فانفرد بذكر "٢٤-٢٦، وتصنيف في ٢٧ بدلاً من المؤمل والمهيب^(٤).

وأحاول أن أصنف هذه المصنفات حسب عناوينها وموضوعاتها، فمنها ما يختص بالحيوان (٤٤، ٤٦، ٤٧) ومنها ما يحمل أسماء غير عربية (١٩، ٣١، ٣٩، ٥٩) وذكر العاكوب أن هذه إما أن تكون مؤلفات فارسية أخذ عنها، أو شخصيات فارسية مما ترجم من الأدب الفارسي^(٥).

(١) ابن النديم، أبو الفرج بن أبي يعقوب اسحق المعروف الوراق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١، ص ١٣٣.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، ١٨٠/٤.

(٣) الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات، ط ١، الدار الإسلامية، بيروت ١٩٩١، ١٩٠/٥.

(٤) البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر، ١٩٨٢، ٦٦٨/٥ (انفرد بالبرزخ، الحك، الرماء).

(٥) عيسى العاكوب، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي، قدم له محمد حمويه، ط ١، دار طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٩، ص ٢٢٤.

وما سمي بأسماء الحيوانات ربما لاعتقاده بوحدة الطبائع بين الإنسان والحيوان، وقد وصف الطاووس بكلام طويل ثم قال في أواخره: "والعين من كثرة ما يرونها أكثر مما يحكي اللسان عنه".^(١) وإسقاط الإنسان أفكاره على الحيوان اعتقاداً منه بوحدة الخلق فضلاً عن التواري خلف لغة حيوانية، لا تجلب الخطر على صاحبها.

ومن قوله: "وإنه ليُفضي إلى رجل حمش، وصيحه وحشه، وصوت هائل، وجسم غير طائيل"^(٢).

فذكر مساوي الطاووس وليست محاسنه، وربما جرياً على عادة الجاحظ في ذكر المساوي والمحاسن، وما يروق الإنسان من الطاووس جمال ريشه فقط، وهذا جزء من شكله الخارجي لكن ينفر من ارتفاع صوته، وشكل أرجله، وهناك من يفضل الديك على الطاووس لاعتداله وانتصاب قامته وربما استخدمه الجاحظ والريحاني رمزاً كما كان يدور على السنة الحيوانات من حكم^(٣).

وذكر التوحيدي من بين المؤلفات التي تحمل أسماء غير عربية إما شخصيات أخذ عنها أو من ملوك الفرس روشنائدل ويعني ضياء القلب، وقد تكون أهمية هذه التسمية لما فيه من آداب وحكم كما ذكر كيلهر أسف وقراحتش .

وذكر التوحيدي عن المصون قوله "وكلامه في المصون كلام يدل على عقل رزين وأدب ظاهر، وليس فيه من العلم إلا قليل، وقد أعجب أهل خراسان بهذا الكتاب"^(٤).

وقسم إحسان عباس هذه المؤلفات حسب موضوعاتها، فمنها ما يتحدث حول المحبة وشؤون المحبين: شرح الهوى، رائد الود.

ومنها ما هو وعظي الطابع مثل الصبر، وصفة الموت، والدنيا، وخطب المنابر^(٥).

وقد أضيف لما سبق ما يتعلق بالزهد والتصوف كالغيبة، والتدرج ومنها ما يتعلق بسير الملوك وأخلاق الخلفاء فضائل اسحاق، أخلاق هارون الرشيد، كيلهر أسف.

أما الوزير المغربي ٤١٨ هـ فقد أطلع على تسعة عشر من كتبه واختار منها مجموعة من الأقوال نشرها إحسان عباس في مقالته، وتدل المقدمة التي كتبها المغربي على أنه كان شديد الإعجاب بهذه الأقوال.

(١) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، ت ٤٢٩ هـ ، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ص ٤٧٩-٤٨٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨٠.

(٣) عيسى العاكوب ، تأثير الحكم الفارسية في الألب العربي ، مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٤) التوحيدي، البصائر والذخائر ، مصدر سابق م ١٦٢/٤ .

(٥) إحسان عباس، مجلة الأبحاث، التي صدرت تحت رقم ٢٩/١٩٨٠ دورية سابقة ص ٥ .

وذكر العاكوب أن الجاحظ خلف سيلا غامرا من المصنفات الأخلاقية لا نرتاب في تأثرها بما أشاعه سهل بن هارون، وابن المقفع، وعلي بن عبيدة من نصائح أخلاقية واجتماعية^(١).
أما باقي المؤلفات فهي لا تتعدى كونها مواعظ وآداب ونصائح أخلاقية واجتماعية بعضها تأثر بالحكمة الفارسية والفلسفة اليونانية.

(١) عيسى العاكوب ، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي، مرجع سابق ، ص ٢٥٦.

موضوعات نثره

تعددت الموضوعات التي طرقها الريحاني في نثره، بين موضوعات دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية، وانفتح على كل المذاهب والعلوم وكان شمولي النظرة، إنساني الأفق، فلم يترك مجالاً إلا خاض فيه، وما طرق موضوعاً أو ناحية إلا أخذ ما يقابلها، فإذا ما أخذ جانب الخير قابله بجانب الشر، وإذا ما أخذ العقل قابله بالهوى، وإذا أخذ جانب الصمت قابله بجانب الكلام كالمحاسن والأضداد.

وقد تشابهت الموضوعات التي طرقها بموضوعات عصره وما تقدمه، ولا سيما بموضوعات الإمام عليّ كرم الله وجهه، وابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، والجاحظ، وعمرو بن مسعدة، وسهل بن هارون، والحسن بن سهل وغيرهم.

وقد كان التأثر بسابقه ومعاصريه واضحاً، من حيث الأساليب والموضوعات، ولم يكتف بالتأثر بالمعاني فقط، بل بالألفاظ والمعاني، فكانت هناك أقوال تعدُّ تكراراً لموضوعات طرقت في عصره، وسيأتي الحديث عن هذا التأثير في موضعه من الرسالة في جداول خاصة بذلك. إلا أن الملاحظ على هذا التأثر هو الاشتراك بالمضمون أحياناً، أو باللفظ والمضمون معاً أحياناً أخرى.

وقد يضم ما تأثر به إلى ما أبدعه ولا يكتفي بالتأثر بالنقل، وجاءت حكمه ومواعظه وأقواله غير مترابطة، إلا أنها مبوبة حسب حروف الهجاء، مما جعل الرجوع إليها سهلاً وميسوراً، وقد ورد نتيجة ذلك بعض التكرار في الحكم نفسها، ولكن بأسلوب مباين بين حكمه وأخرى.

ونجد مثل هذه الأقوال والحكم المنثورة عند الإمام عليّ كرم الله وجهه، وابن المقفع، ولكن غالباً ما ترتبط الحكمة والموعظة عند ابن المقفع بقصة من خياله على ألسنة الحيوانات، وهي خلاصة القصة، أو هي الموعظة منها، فربط بين الخيال والواقع، وربما اعتمد الرمز أو التلميح أو الإشارة في أقواله.

أما الإمام عليّ فكانت أقواله وحكمه وخطبه موجهة للرعية والراعي، للمؤيدين والمعارضين، فكان يعتمد في حكمه ومواعظه على المثالية، وحب الخير لذاته وليس طلباً لثوابه، مساواة بين الراعي والرعية، بين القوي والضعيف، مجتمع الإخاء والتعاون الذي تحكمه المبادئ والقيم.

فكان العقل دليله ومرشده، ولا يحتكم في سلوكه إلا إليه، ويرى غيره ضلالاً وانحرافاً، يرى الدنيا طريق الآخرة، وهي متاع زائل والإقامة فيها إلى ظعن، وهي صراع بين قوتين في جميع الأحوال، بين الخير والشر، والقوة والضعف، والحق والباطل، وحب الدنيا والزهد فيها، بين الرغبة والرغبة، بين طول الأمل وقصر الأجل.

وقد قسمت الموضوعات التي عالجها الريحاني إلى أقسام أربعة:-

- **الموضوعات الدينية** وتشمل: الزهد، والتصوف، والورع، والتقوى، والعدل، والشورى. والعبادات، والحلال والحرام، والطهارة، والثواب والعقاب، ومحاسبة النفس، واجتناب الهوى، والدنيا والآخرة، والتوبة والنية.
- **الموضوعات الاجتماعية** وتشمل: الإخوان، والأصدقاء، والمرأة، وقرين السوء، والأخلاق الفاضلة: كالحياء والعفة، والمروءة، والجود، والصدق والشكر، والصبر، والعتاب، والعفو، كما وتشمل العيوب الاجتماعية: كالسعاية والنميمة، والكذب والمزاح، والحسد، والظلم، والشره والشهوة، والمرء والنفاق والعجب، واتباع الهوى، والغدر ونقض العهد.
- **الموضوعات الاقتصادية**: أهمية المال، وحسن التخطيط، الاقتصاد والاعتدال.
- **الموضوعات السياسية**: كواجبات السلطان، وشروط صحبته، والثقافة، والمحافظة على الأمن، وحسن السياسة والحرب.

الموضوعات الدينية

استمد الريحاني ثقافته كما تقدم من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، واستمد حكمه وتجاربه وخبرته الواسعة من أحداث عصره، فلا يغرب عن البال أثر هذه المؤثرات في ثقافته، فانطلق من منطلق إسلامي، فالمبادئ والقيم الإسلامية كانت منهاجه ودستوره، فيرى أن من العار أن يقول ولا يفعل.

ويكون مثالياً بأفعاله لا بأقواله " كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" ^(١)، فهو يعظ الناس بأفعاله لا بأقواله " عِظِ النَّاسَ بِفَعْلِكَ وَلَا تَعْظُهُمْ بِقَوْلِكَ" ^(٢)، فمن عرف بكذبه لا يصدقه أحد، ولا يصدق أحداً، ومن عرف بصفة ذميمة فعنده أخواتها، وهذا نوع من الاستدلال والمقدمات التي تبنى على أسس صحيحة فتكون نتائجها كذلك .

والموضوعات الدينية كثيرة ومتعددة كالزهد والتصوف والورع والتقوى والعدل وغيرها كثير، واستمد هذه الموضوعات من مصادرها الإسلامية وصاغها بإسلوبه الوعظي الذي يرسم فيه الإنسان المثال والقنوة.

(١) الصف، آية ٣.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٨٠ .

• الزهد:-

هو القبول بالقليل من متاع الدنيا، وبما يسد الحاجة ويسد الرمق وكف النفس عن طلب المزيد، وترويضها للقبول بالقليل، والغنى عما في أيدي الناس، والافتقار لما عند الله، فهو الغني ونحن الفقراء إليه^(١)، ولا يكون بما هو غير موجود، بل الزهد بما هو موجود، فالسقاء والجود بما هو موجود، وليس بما هو مفقود، وقناعة النفس برزقها، وعدم النظر لأموال الناس وأملاتهم، لأن متاع الدنيا إلى زوال، وما عند الله باق "لا طريق إلى الله عز وجل إلا بترك الدنيا، ولن تضرك الدنيا ما شكرت الله عليها وتزودت بها إلى الآخرة فطابت نفسي منها مع تجنبي لوجوه الحرام"^(٢)، فليس هو أن لا تملك شيئاً بل أن لا يملكك شيء.

فالزهد في الدنيا لا يكون إلا رغبة في الآخرة، وهو في الإسلام ليس زهداً لذاته، وإنما لما بعده، في حين كان الزهد في الهندية والفارسية زهداً لذاته، لأن منطلق الزهد من رؤية إسلامية زهد فيما يفنى لما يبقى فكل شيء عنده بمقدار "طالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه منها، وطالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجها منها"^(٣).

فلا ينال الإنسان أكثر من رزقه ولن يمهل أكثر من أجله، ولن يخلد في حياته لأنه يرى أن الحياة قصيرة مهما طال، والمال مصيره إلى الوارث، والجسم نهايته إلى الفناء، والتجمع نهايته إلى فراق، "زهديك يحتاج إلى خمسة أشياء: أن تزهد في ملبوس آخره إلى المزابل، وتزهد في مطعم آخره إلى الحش، وتزهد في تجمع آخره إلى الفراق، وتزهد في الدنيا التي آخرها إلى الفناء وتزهد في جمع مال آخره إلى الوارث"^(٤). وفي موضوعاته الدينية لا يضيف إلا الصياغة، وما ورد من حكم ومواعظ هي معان إسلامية صاغها بأسلوبه الذي يبدو فيه التأثر بالفلسفة ولكن هذا التأثر لم ينضج.

(١) حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ط ٢، مؤسسة مختار، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٦٨.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

• التصوف:-

اتجاه يرى فيه المتصوف أن الدنيا طريق الآخرة أو سوق للآخرة ينتزود منها الإنسان بالأعمال الصالحة، لأنها دار عمل بلا جزاء، والآخرة جزاء بلا عمل، وربما يرى المتصوفة أن اعتزال الناس، والبعد عنهم والانقطاع للعبادة والاستعداد للظعن والتزود من الممر للمقر سبيل النجاة.

فالحياة هي الموت، والموت هو الحياة، الموت للجسد في الدنيا والحياة والحريّة للروح بعد مفارقة الجسد، فالجسد مادة تبلى وتفتنى، والروح من علم الله وأمره لا يفنى " ثمّ سواه ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ "(١).

لذا فإنه يرى أن الدار الآخرة هي دار البقاء، والحياة هي ما بعد الموت وعند ولادة الروح، " دارُكُمْ أَمَامَكُمْ وحياتُكُمْ بعد موتِكُمْ "(٢)، وموت الجسد هو عودته للآلَم والأصل، عودة للأرض والتراب " منها خلقناكُمْ وفيها نُعيدُكُمْ ومنها نخرجُكُمْ تارةً أخرى "(٣)، فليذكر الإنسان أصله كيف بدأ؟ وكيف نشأ؟ وكيف يعود تارة أخرى؟ " إذا عِشْتَ فوقَ الأرضِ فاذا كُنتَ مِنْ تَحْتِهَا، وكيف كانوا فوقها، وكيف كانوا أَمَمًا وكيف صاروا رَمَمًا ؟ "(٤).

وترويض النفس ومنعها من شهواتها ومجاهدتها للصبر على التكليف والعبادات وتخليصها من أدرانها هي سبيل الحرية من الآثام، والمنزلة الرفيعة في دار المقام " مَنْ لَمْ يُهْدَبْ نَفْسُهُ بِالرِّيَاضَاتِ لَمْ يَجِدْ السَّبِيلَ لِنَسْتِ الْمَقَامَاتِ "(٥).

(١) السجدة، آية ٩.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٥، " مخطوطة " .

(٣) طه، آية ٥٥.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ٨٦، " مخطوطة " .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

وانظر شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٤٦م، ص ص ١٠٤-١١٠.
- المقامات : هي المكاسب التي يحصل عليها السالك أثناء رحلة مجاهداته وإخلاصه وطاعته لله تعالى، وهي مقام الصادقين والصديقين والمقربين والمتفردين.

- الرياضات: المجاهدة ومخالفة أهواء النفس، وتجنب الشهوات فهي رياضة أدب ورياضة طلب.

انظر سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ص ص ٩٣١-٧٢٥.

• الورع:-

هو ذرّ ما قلّ لما كثر، وما ضاق لما اتسع، ولا ورع أنفع من ترك المحارم، فترك الدنيا طمعاً في الآخرة، والكف عن المحارم، والورع للعامة اجتناب الشبهات والمحارم، وورع الخاصة البعد عن الشهوة وهوى النفس، وورع خاصة الخاصة، البعد عن إظهار القدرات للناس والكرامات^(١)، ويكون في الخلوة وفي السر والعلانية.

والورع هو في السخاء والجود عند من لا يجد، وليس الجود عند من يجد، وقول كلمة الحق عند سلطان جائر، وليس النطق بالحق في ظروفه الطبيعية "وَرَعَكَ فِي الْخُلُوةِ، وَجُودَكَ فِي الْقِلَّةِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ يَخَافُ وَيُرْجَى يُبْلِغُكَ دَرَجَاتِ الصَّالِحِينَ"^(٢).

والورع هو سلوك لا أقوال وهو إخلاص في العمل لا تأدية عمل وهو تمسك بالمبادئ، وهو اجتناب الشبهات وليس فقط المحرمات، وهو جوهر وباطن لا شكل وظاهر، فلا يعمل عملاً إلا في مرضاة الله، ولا يتحرك في عمل إلا ومقصده خير، لا يرجو ثناء من أحد، ولا يعمل النوافل وهو مضيع للفرائض.

"صِحَّةُ وَرَعِكَ، أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ إِلَّا بِالْحَقِّ سَاطِطاً كُنْتَ أَمْ رَاضِياً، وَأَنْ تَحْفَظَ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُكَ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ"^(٣).

(١) حسن الشرقاوي ، معجم ألفاظ الصوفية، مرجع سابق، ص ٢٨٥. وانظر المعجم الصوفي ، لسعاد الحكيم ص ٩٣١ ، ٧٢٥ .

(٢) الريجاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٦٨ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٨ .

• التقوى:-

شدة الخوف من الله تعالى واجتناب نواهيه، والالتزام بأوامره وطاعته لنيل رضاه وحصول ثوابه، فليست التقوى أقوالاً بل سلوكاً وإخلاصاً في الطاعة والعبادة، واجتناب كل ما يؤثم الإنسان والمتقون هم أهل الفضائل فمنطقهم الصواب، وفعلهم كف البطن وما حوى، والرأس وما وعى، والأيدي وما بها رمى، والأطراف وما إليها وبها سعى عن محارم الله .

فالتقوى خوف ورجاء ونجاح في الدنيا والآخرة، فمن خاف الله اجتنب ما نهى عنه، ومن طمع في جزائه وثوابه التجأ إليه ورجاه، فالخوف منه لا يشبه الخوف من الناس، فالخوف منهم هروب والخوف من الله التجاء إليه "خوفُ الله تعالى لا يشيهُ الخوفُ من الخلق لأنَّ مَنْ خافَ شيئاً هربَ منه، ومن خافَ الله هربَ إليه"^(١).
وليس الخائفُ من الله من بكى وعَصَرَ عينيه، إنما الخائفُ من ترك الأمر الذي خافَ أن يعذبَ عليه"^(٢).

فمن اتقى الله عمل لما بعد الموت، فحياة المرء كالشيء المستعار، لها أجل محدود، ومن اتقاه كفاه ما أهمه، ومن عرف الخالق وعظمه صغر ما دونه، فانه قد خلق الخلق غنياً عن طاعتهم، أما من معصيتهم فلا تضره معصية ولا تنفعه طاعة، "رأسُ الأمور المعرفة بالله، وعمودها مخافةُ الله وثمرتها طاعةُ الله"^(٣)، "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب"^(٤).

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٩٣ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٤) الطلاق، آية ٣، ٢.

• العدل:-

مبدأ إسلامي تقوم عليه العلاقة بين الفرد والجماعة، والراعي والرعية، وبه تنفذ الأحكام دون زيغ وانحراف، وبه تحكم الدول العصرية وهو المساواة بين الأجناس والعناصر، وهو السلاح الذي يحتكم فيه الراعي مع رعيته إن أراد صلاحها، ويلتزم به حاشيته وبطانته إذا سادت المبادئ الإسلامية في رعيته "والناس مُخَيَّرُونَ فِي صُحْبَةِ الْوَالِي، إِمَّا الْمِيلُ مَعَ الرِّعِيَةِ عَلَيْهِ وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا، وَإِمَّا الْمِيلُ مَعَهُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا هَلَاكُ الْآخِرَةِ"^(١)، فالميل إلى أي جانب ظلم للوالي والرعية وفيه هلاك للدنيا والآخرة.

فكما يكون بين الأصدقاء يكون بين الأعداء، ولا يكون العدل في تطبيق الأحكام بل في حسن البشر واللقاء، والاستماع للناس، وتلبية حاجاتهم، والمساواة بينهم، "لِتَكُنْ غَايَتُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ الْعَدْلَ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ الرِّضَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ خَصْمٌ تَلْقَاهُ بِالْحِجَّةِ، وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ، وَأَنَّ الصَّدِيقَ لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَاضٍ وَإِنَّمَا هُوَ رِضَاةٌ وَحُكْمُهُ"^(٢).

فالعدل يستند إلى أصول ومبادئ مستمدة من الشريعة، سواء الكتاب أو السنة النبوية بالنسبة للمسلمين، ومستمدة من القوانين والأنظمة والتشريعات عند غيرهم، ولا حكم إلا بنليل، ولا تصدر الأحكام بالشبهة، ولا يعاقب الإسلام إلا بأدلة قاطعة أو يمين أو شهود عدول "البينة على من أدعى واليمين على من أنكر"، وهذا المبدأ الإسلامي ثابت لا يتغير ولا يتحول، فكان سبباً في إنصاف المظلوم، والاقتصاص من الظالم، وإعطاء لكل ذي حق حقه، والإسلام دين الوسطية والاعتدال، فلا تطرف ولا انحراف في تشريعاته وأنظمتها، فإن ظلم أحدٌ في حماه انتصر له، وإن ظلم أحدٌ على يديه".

والأحكام لا تصدر عن هوى أو ميل، وإنما تصدر بالعقل، لأن العقل مصدر الخير وبه يتميز الإنسان السوي عن غيره، وهو الهادي والمرشد، وأما الهوى فيقود إلى الانحراف، ويتبع العواطف وهي متغيرة وغير ثابتة، "فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْكَ عَقْلُكَ فَهُوَ لَكَ، وَإِذَا غَلَبَ هَوَاكَ فَهُوَ لِعَدُوِّكَ"^(٣).

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٥٦

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٦٧ - ١٧.

ابن المقفع	الريحاني
احفظ قول الحكيم الذي قال:-	
لِيَكُنْ غَايَتُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ الْعَدْلَ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ الرِّضَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ خَصِمٌ تَصْرَعُهُ بِالْحِجَّةِ وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ، وَأَنَّ الصَّدِيقَ لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَاضٍ، فَإِنَّمَا حُكْمُهُ رِضَاهُ ^(١) .	لِيَكُنْ غَايَتُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ الْعَدْلَ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ الرِّضَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ خَصِمٌ تَلْقَاهُ بِالْحِجَّةِ وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ، وَأَنَّ الصَّدِيقَ لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَاضٍ، وَإِنَّمَا هُوَ رِضَاهُ وَحُكْمُهُ ^(٢) .

وقد اعتمدت في الموازنة على النصوص المحاكية للإمام عليّ وابن المقفع، لإثبات تأثره بهما، أما النصوص التي تفرد بها فقد استبعدتها في هذا الموضع، وكان للريحاني تفرد هو من شأن المتكلمين الذين يشبهونه؛ لأن المتكلم لا يحاكي في كل شيء. ولا يتسع المجال لذكر ما تفرد به من حكم ومواضع؛ لأن التأثر ورد كموعظة في سياق كلامه.

(١) ابن المقفع، عبدالله، ت ١٤٣هـ، الألب الكبير والألب الصغير، دار الجيل، بيروت، ص ٧٤.
(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٣٦، وانظر الصفحات ٩٦، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٦٩.

الشورى:-

سبيل سديد في إنضاج القرار، والمسؤولية الجماعية مسؤولية أمام الله جل وعلا، وأمام المجتمع ولا يستشار البخيل والجبان لانهما يعدلان بك عن الكرم والشجاعة فأحدهما يخوفك الفقر والآخر يضعفك عن اتخاذ قرار حازم ، وهو من قواعد الملوك، ومن المبلدئ الإسلامية، وأمرهم شورى بينهم^(١)، ومن دعائم العقل، يلجأ إليها إذا اختلطت الأمور، وبها تكتسب الآراء بين القلوب، وتطلب ممن يخافون الله، ولا يخافون الناس "فمن شاور الرجال شاركهم في عقولهم"^(٢)، والفرق واضح بين عقل معه عقول كثيرة، وبين عقل لا زيادة فيه^(٣).

والشورى لا تنقص من القدر بل تزيده، وبها تستدرك الأمور الغائبة، وتصل للصواب، وتأمين الزلل، وبها يُصنف الرجال إلى رجال وأنصاف رجال ولا رجال ، فأما الرجال فمن يشاور وله رأي ، وأنصاف رجال، من له رأي ولا يشاور، ولا رجال من لا رأي له، ولا يشاور^(٤)، وتدخل الشورى في كل مجالات الحياة في السلم والحرب، في العلم والعمل، في الحلال والحرام، ويستشار صاحب الدين والخبرة والتجربة، ولا يستشار الجاهل، أو المنافق، أو الغر حديث التجربة، فالمجرب الخبير ينصحك ، والجاهل الغر يغريك، ومن استغنى بعقله عن عقول الآخرين ضل ، فمن عاد لعقله فرما يصيب مرة ويخطئ مرات، ومن استشار غيره، فالشورى نتيجة العقل، لا يضل بها ولا يزيغ، ولا يستشار صاحب الهوى؛ لأنه يرضي الناس ولا يرضي الله، ومن أَرْضَى الناس وأغضب الله أوكله الله إليهم، ومن أَرْضَى الله باستشارته وأغضب الناس كفاه الله همهم، والشورى من باب الأمانة، ولا يستشيرك إلا من ائتمنتك فأنت تبذل له النصيحة والمشورة الخالصة لوجه الله، وهو يختار الرأي الصائب بعد أن يوازن بين رأيه وآراء الآخرين، ويوفق بينهما ويختار ما هو أصوب.

الريحاني	الأمام علي كرم الله وجهه
لا عقل لمن ظن أن في عقله ما يغنيه عن غيره، وشتان بين عقل وافر معه عقول كثيرة وافر، وبين عقل وافر لا زيادة معه ^(٦)	من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها ^(٥) .

(١) الشورى، آية ٣٨.

(٢) عيده، محمد، نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ص ٤١/٤

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ٤٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٣، وانظر ص (١٣٥، ٢٠١، ٢١٦، ٢٥١، ٢٧٧، ٢٨٤).

(٥) ورد في حاشية (٢). وانظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، م ١٣٧/٣.

(٦) ورد في حاشية (٣) .

العبادات

وهي الفرائض والواجبات المترتبة على الإنسان سواء لربه أو للآخرين أو لنفسه، لربه وهو ما يؤديه من فرائض ونوافل كالصلاة والزكاة والصيام والقيام وحج، وما يؤديه للآخرين من حقوق وواجبات، ومشاركة في الأفراح والأحزان، وكف الأذى عنهم، وأما لنفسه فساعة للعبادة، وساعة يخلي بها وبين شهواتها، وساعة لعمله.

وتقدم الفرائض على النوافل في جميع الأوقات، ولا تُطلب النوافل وأنت مضيق للفرائض، "وإذا أضرت النوافل بالفرائض فافضوها"^(١)، وقد تكرر هذا القول عند الإمام علي و الریحاني فإذا أقبلت القلوب قامت بالنوافل والفرائض، وإذا أدبرت فعليها بالفرائض؛ لأن القلوب لها إقبال وأدبار وتكل كما يكل البدن وتجم كذلك، "واعلم أنك إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير"^(٢).

فخير العبادة أدومها وأن قلّ، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها، والاعتدال والقصد في جميع الأمور هو الفضيلة، "فالدين متين فأوغل به برفق"^(٣).

والصدقات والزكاة منها ما هو اختياري، ومنها ما هو إجباري، ولا تقتصر على الأمور المادية فقط بل والأمور المعنوية، فالنعم والبدن، والعلم، والشرف والتواضع والجاه لها زكاة، والصدقات لها شروط ككف الأذى، وعدم المن، وتعجيلها وإخراجها من حلال، وإنفاقها سرا لعدم الرياء، وجهراً للإقتداء بذلك، "زكاة النعم المعروف، وزكاة البدن العليل، وزكاة العلم نشره في أهله، وزكاة الشرف التواضع، وزكاة الجاه بذلة"^(٤)، كما "أن زين الصدقة وسلامتها لصاحبها إخراجها من حلال، وإعطاؤها من جهد مقل، وتعجيلها مخافة الفوت، وتصغيرها مخافة إبطالها، وكف الأذى عن أخذها مخافة الإثم"^(٥).

(١) الریحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٠٦ وأنظر ص (٢٣٧-١٨٠).

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، دار الفكر، المجلد الثاني، ص ١٨، رقم الحديث ٥٤٢٠.

(٤) الریحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ١٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ١٠٤.

الأمام علي	ابن المقفع	الريحاني
إذا أضرت النوافل بالفرائض فارضوها (١) .		إذا أضرت النوافل بالفرائض فارضوها (٤) ولا تطلب النوافل وأنت مضيع للفرائض (٥).
إن للقلوب إقبالا وإدبارا فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت فاقصروا بها على الفرائض . وإن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة (٢).		دار خاطرك ورفه قلبك ولا تكره ذهنك.... فإن الذهن إذا أكره كل، وإذا كل وقف..... والذهن يجم كما يجم البدن ويصفو كما يصفو الماء (٦).
	اعلم أنك إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير، وإن جاوزتها في تكلف رضا الناس والخفة معهم في حاجاتهم، كنت المحسر المضيع (٣).	اعلم أنك إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير، وإن جاوزتها في حمل العلم لم تأمن الضرر، وإن جاوزتها في رضا الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المسخور منه المضيع (٧).

(١) عبده محمد ، نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ٦٨/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٤٥/٤ .

(٣) ابن المقفع ، عبدالله ، الأدب الكبير والأدب الصغير ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(٤) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ، ص ٢٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٧ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

(٧) المصدر نفسه ص ٢٠٠ .

• الحلال والحرام:-

لكي يكون إيمان المرء صادقاً فيتحرى الحلال ويتبعه، ويُقضي الحرام ويجتنبه، وما كان فيه شبهة كذلك، فكسبه حلال، وينفقه في الحلال، وإذا أنفقه في وجهه فلا يسوف ولا يقتتر وكان بين ذلك قواماً، والمال الحلال يُكتسب من العمل الشريف، لا بالتدلل ومد اليد وسؤال الناس، وينفق على العيال، وفي وجوه النوال وتقضى به اللوازم، وتبنى به المكارم "وَمَا قَلَّ وَحَلَّ خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَحَرَّمَ"^(١).

فيجب على المرء أن يكون أصل كسبه طيباً، فإن سلم له كسبه ينبغي أن يؤدي الحقوق الواجبة عليه في ماله، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر.

"عليك بعمل الأبطال كسب الحلال، والنفقة على العيال، والترفع عن ذل سؤال الرجال، والاشتغال بأطهر الأعمال"^(٢).

أما شر الأموال فهو ما أخذ من حرام وصرف في الآثام فيؤخذ بطرق غير مشروعة كالربا، والغش، والاحتكار، والتزوير والنصب والاحتيال وكلها مصيرها إلى الزوال ولا يبقى منها إلا الوزر والآثام، ويزيد التعامل بهذه الصور مع الأيام حتى أن القابض على الحلال كالقابض على جمر "شيطان ليس في الدنيا أقل منهما درهم حلال تُنفقه في وجهه، وأخ ثقة في الله تسكن إليه"^(٣).

وهما شيطان لا يزيدان إلا قلة فالكسب الحلال أصبح صعباً على النفوس التي اعتادت الكسل والهوان، والتي ترى أن غيرها قد وصل لما يريده ببسر وسهولة عندما تخلو عن قيمة ومبادئه وأخلاقه، والأخ الثقة أصبح نادراً لأن المادية التي تسيطر على النفوس والمصالح النفعية هي المقياس.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥، وانظر الصفحات (٤٣، ١٠٠، ١٤٤، ٢٥٩، ٢٨٤، ٣٠١).

• الطهارة:-

من المتطلبات للعبادة فلا عبادة دون طهارة، فيبدأ الإنسان بطهارة نفسه ثم يؤدي ما فرض عليه، والطهارة نوعان: طهارة البدن من الدنس والرجس، وطهارة النفوس من مرض الشرور والآثام، والطهارة الأولى مادية والأخرى معنوية فالبدن يطهر بالماء، وعند التيمم بالتراب، وطهارة النفوس تكون بطهارة المطعم والمشرب والملبس ولا يكون ذلك إلا بالكسب الحلال وقليل الكسب الحلال يكفي، وكثيره يطغي ويلهي " طهارة الإنسان في ثلاثة أشياء: في الوضوء بالماء، وفي صفاء المطعم، وفي مباينة الآثام"^(١).

ولا تكون الطهارة للمطعم ومباينة الآثام إلا بالكسب الحلال "فالرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذيه بالحرام فإني يستجاب له"،^(٢) فلا يستجاب لمن كان كسبه حراماً وغذاؤه حراماً .

"فقليل من الماء يطهر ويروي، وكثيره يغرق ويروي"^(٣) كذلك مقدار الكفاية، في حاجته للماء من أجل الطهارة والري، لكن زيادة الماء لها أثر سلبي، فكثرت تغرق، فكذلك الرزق، فإن كان قليلاً كفى، وإن كان كثيراً ألهى وأطغى صاحبه، واشتغل به ولم يقيم بواجبه، سواء بالإنفاق أو القيام بالعبادات في غير أوقاتها، فلا خير في مال إلا مع الانفاق، ولا خير في دنيا لا تكون معها آخره.

فالغرق في الدنيا ونسيان الآخرة هلاك في الدنيا والآخرة، والغرق بالماء هلاك في الدنيا وربما سعادة في الآخرة.

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ، ص ١٦٩ ، وانظر ٢٠٧ .
 (٢) الدارمي ، أبو محمد بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ، سنن الدارمي ، تحقيق مصطفى ديب ، ط ٢ ، دار القلم ، دمشق ، المجلد الثاني ، ص ٣٨٩ ، رقم الحديث ٢٧١٧ .
 (٣) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٢٠٧ .

• الثواب والعقاب:-

هما توجيه السلوك الإنساني لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، ولا تقتصر على المكافآت والحوافز التي تثير نوازع الرغبة الذاتية، بل امتدت لمعرفة كوامن أمرها، ولا يمكن قياسها، بل معرفتها من الآثار المقترنة بالسلوك الإنساني بدنياً أم فكرياً، فالدوافع قوة داخلية تحرك النفس وتوجه السلوك، والحوافز قد تكون مادية أو معنوية لإثارة الدوافع.

وكل أعمال الإنسان في حياته تخضع للثواب والعقاب، ثواب للمحسن، وعقاب للمسيء، للمحسن تكريماً ومكافأة له، وحفزاً له للمزيد من العمل، وللمسيء ردعاً وتخويفاً للإقلاع والحذر، وهما من الأمور التي يؤمن بها الإنسان.

والعقاب لا يتجاوز ما اقره الإسلام للعقوبات والقصاص، فكل ذنب عقوبة، ولكل عمل ثواب فالحسنة بعشرة أمثالها، ولا يعاجل الذنب بالعقوبة، بل يجعل بينهما للاعتذار طريقاً، ويكتفي بردع المسيء بما يناسب ذنبه، وإذا ما تجاوز العقاب الذنب أو الإثم عاد الوبال على من قام بالعقوبة " لا تُعملنَّ سيفك فيما تكتفي منه بالسوط، ولا سوطك فيما تكتفي فيه بالحبس، ولا تسرعنَّ إلى حبس من يكفي فيه الوعيد، فإن العقوبة يجب أن تكون بقدر الذنب"^(١).

والعقوبة لا تكون إشفاء للغيب بقدر ما تكون تنفيذاً لأحكام الشريعة فلا يكون غضبك في تنفيذ العقوبة لله باكثر من غضبك لنفسك، ولا تنفذ العقوبات دون دليل وبينية على الإثم وأن يكون هناك مجال للاعتذار إذا لم تكن العقوبة تتعلق بحقوق الآخرين " لا تُعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقاً، ولا يحملنَّك الحنق على اقتراف إثم، فنُشفي غيظك، ونُسقم دينك"^(٢).

فإذا تجاوزت العقوبة الحد ألحقت الإثم بصاحبها وأثام الدنيا وكلومها تذهب وتبيد بينما أثام النفوس لازمة لها حتى يأتي عليها القصاص " فإذا نلت منه مظلمة وأفرطت عليه بعقوبة فإن الذي أتيت إلى نفسك بذلك أشدُّ مما أتيت إليه"^(٣).

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٣، وانظر الصفحات (٢٧٢-٢٨١-٣٠١).

• محاسبة النفس:-

بعد أن فرغ من توجيه الآخرين ونصحهم على المستوى العام، عاد لينصح نفسه فسواء كانت نصائحه عامة أو فردية فكلها لله.

تتطلق من المبادئ الإسلامية ، والنظرة لها ولعدوانيتها تعزيز للمفهوم الإسلامي، الذي ينظر لها كعدو للإنسان، فالنفس والهوى والعقل لا يجتمعان، وهما ضدان فالنفس تميل إلى الشر، والعقل يميل إلى الخير، وهي الأمانة بالسوء أمرها يسير وحسابها عسير، تتعلق بالشهوات والنزوات ولا تُترك لها الحرية ، ولا يلقي حبلها على غاربها فمن استبدت به نفسه هلك، ومن أجمعها ملك. فتحتاج إلى الرعاية والعناية وإذا ما ظهر منها فساداً عاجل بإصلاحه دون أن يتراكم "حاسبُ نفسك تربيحُ ولا تغفل عنها فتخسر، وحسبُ امرئ عيباً أن يعلم من نفسه فساداً ثم لا يُصلحها، وبئس المتحولُ من ذنب إلى ذنب بغير إقلاع"^(١) ، لقوله تعالى: "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"^(٢)، والنفوس رمز الشرور والآثام، وإذا ما اعتادت على أمر يصعب ترويضها إلا بعد معاناة، ولا يقتصر ضررها على صاحبها بل يتعداه إلى غيره، وتُلحق الضرر به وبأصحابه سواء أخیاراً أو أشراراً، "أكثرُ محاسبة نفسك وإن كنت ارتكبتَ شيئاً مما تُهيت عنه فتبَّ إلى الله من ذلك واستغفره واحذرْ أن تعودَ له"^(٣) فالندم والتوبة من أمر بصدق ، عدم العودة إليه، فهي تحاسب في الرخاء، قبل أن تحاسب في يوم الشدة ومن ألهمته بأهوائه وشهواته عاد أمره إلى الندامة والخسران، ومن عودها على الصبر والسلو، وكف الأذى عن كل إنسان، عاد أمرها إلى الصلاح والخير، "ضَرُّوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ لَكَ شَيْءٌ ضَرَاوَةٌ وَنَظَّفُوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنْ لَكَ شَيْءٌ نَجَاسَةٌ، وَنَجَّاسَةُ اللِّسَانِ الْبَذَاءُ"^(٤).

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ، ص ٨٠ .

(٢) سورة المائدة: ١٠٥

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدره سابق ص ٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٨

اجتناب الهوى:-

الهوى والنفس هلاك لصاحبهما ولا عمل كمخالفتهما، لأن غلبتهما هلاك للإنسان وضلال وانحراف، ولا صلاح لك عند طاعتهما إلا بالحذر منها والاحتكام للعقل، فالهوى والعقل عدوان، والاحتكام للهوى واتباعه يذل، فالحذر الحذر من اتباع الهوى؛ فإن فيه إفساداً للدين والمروءة وتحجيماً للعقل يجلب الشر، ويفسد الرأي، ويسئ إلى الآخرين ويلحق الضرر بهم "حَقِّقْ رَأْيَكَ وَلَا تَشُوبْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَىٰ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُكَ مَقْبُولًا، فَإِنَّ الرَّأْيَ يَقْبَلُهُ مِنْكَ الْعَدُوُّ، وَالْهَوَىٰ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ الصَّدِيقُ وَأَحَقُّ مَا احْتَرَسْتَ مِنْهُ، أَنْ نَظُنَّ بِكَ خَلَطَ الرَّأْيِ بِالْهَوَىٰ فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ وَخِيَانَةٌ وَافْسَادٌ لِلدِّينِ وَالْمَرْوَةِ" ^(١)، فإذا ما أراد الإنسان صلاح أمر دينه ودنياه، فعليه باجتناب الهوى، ليكسب مروءته، وثقة الناس به، وحبهم له، ورضا ربه وبذلك يؤثر العاقبة على الفانية، والآجل على العاجل، والرجوع عن الهوى إن كان لهواً أو لغواً، خير من التماسي في الضلال والانحراف "لا تقولنَّ ما يوافقُ هواك، وتخالِفُ أخاك، وإن قلته لهواً وخلته لغواً فرب لهو يوحش منك حراً، ولغو يجلب عليك شراً" ^(٢).

فالعقل هو الأساس والمرشد والدليل والهادي، وما خالف العقل فهو ضلال، لذا فإن الهوى يجب إخضاعه للعقل ليكون خادماً، وبذلك يصون الإنسان نفسه ومروءته ودينه، "صان نفسه ووقر جاهه وأرضى ربه، من أخدم هواه لعقله، وأثر العاقبة على عاجل لدته، ولم يسرع إلى ما دعته إليه شهوته" ^(٣).

فالعقل يمتاز بالتأني والروية والتفكير قبل العمل، بينما الهوى لا يحتاج إلى هذا كله فلذا يكون حكمه دائماً غير صائب، لتعدد الأهواء والميول وغياب المقاييس الثابتة، فهو كمن يرقم في الماء، يتعب ويشقى وقد يهلك ولا نتيجة ترجى من ذلك.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٧ وانظر ٢٦٧، ١٧.

الأمام علي كرم الله وجهه	ابن المقفع	الريحاني
وكان إذا بدهه أمران نظرو أيا اقرب إلى الهوى فخالفه ^(١) .	إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أقرب إلى هواك فخالفه فإل أكثر الصواب في خلاف الهوى ^(٢) .	هوى الإنسان ضد عقله وهما يتجاذبان فأيهما غلب مال بصاحبه، فإذا أردت أمرا، فقال أحدهما لا، وقال: الآخر نعم، فاطع الذي نهاك ^(٣)
		إذا غلب عليك عقلك فهو لك، فإذا غلب هواك فهو لعدوك ^(٤) .

وتعتبر مثل هذه الأقوال المتشابهة جزءا من أبواب مخطوطته ولم يقتصر على هذه الأقوال المتشابهة وإنما أورد حكما ومواعظ كثيرة ومتنوعة في مختلف الموضوعات، وبوبها في ثلاثين بابا وصفحات مخطوطته نافيت على ثلاثمائة صفحة، فعند حصر هذه الأقوال التي أخذها من غيره فهي نزر يسير.

(١) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ٧٠/٤.

(٢) ابن المقفع، عبدالله، ت ١٤٣ هـ، الادب الكبير والادب الصغير، مصدر سابق، ص ١١٤.

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفراند الحكم، مصدر سابق ص ٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه ص ١٧.

• الدنيا والآخرة:-

الدنيا سوق الآخرة، ولا تتال الآخرة إلا بها، والدنيا إلى فناء، والآخرة إلى بقاء، والدنيا دار الممر، والآخرة هي المقر، فمن أحب الدنيا عمل لها، ومن أحب الآخرة عمل لما بعد الموت.

وهما بيتان بيت شاهد، وبيت غائب، فمدة الإقامة قصيرة في أحدهما، وطويلة في ثانيهما، والأحق بالإعمار بيتك الذي تكون فيه الإقامة طويلة، ومن عمل لهذا البيت كفاه الله ما أهمه من الدنيا، "دارُ المحنة الدنيا، ومطيّة الفتنة الهوى فأعرض عن الدنيا تغنم وانزل عن الهوى تسلم، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي، ولا يفتنك بحسن العواري فمدة الدهر تنقطع، وعارية الدهر تُرتجع، ويبقى وزر المحارم، وما اكتسب من المآثم"^(١).

والدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب كلما ازددت من أحدهما قرباً ازددت من الأخرى بعداً، والدنيا عمل بلا جزاء، والآخرة جزاء بلا عمل، فالיום العمل وغداً الجزاء، فإذا كانت خيراً، فجزاؤها خير، وإن كانت شراً فلا يلومن إلا نفسه، واليوم طريق للغد والحياة طريق للموت ولم يُخلق الإنسان عبثاً، "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون"^(٢)، "عباد الله إنكم لم تُخلقوا للبقاء، وإنما تُنقلون من دار إلى دار كما نُقلتم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الآخرة، ثم في سعادة أو شقاء، فاعملوا لما يُنجيكم، وجانبوا ما يشقيكم"^(٣).

فهذه من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان، في حقيقة الموت والحياة، الحياة إلى زوال والموت نهاية لكل حي، "كلُّ من عليها فان"^(٤)، والمراحل التي يتدرج فيها الإنسان لا حول له ولا قوة ولم يُخلق عبثاً، وإنما خُلق للعبادة وإقامة حكم الله في الأرض وليجتاز امتحان الدنيا ليفوز بالآخرة.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٨.

(٢) الذاريات، آية ٥٦.

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٤) الرحمن، آية ٢٥.

• التوبة والنية:-

كف الجوارح عن الذنب، فالعين عن النظر لما حرم الله، والسمع عن الاصغاء واليد عن البطش، والرجل عن السعي، والفرج عن اقتراف الفحش، والبطن عن أكل الحرام، وإقبال بالنية بالقلب للقيام بالعمل، وتكون كل منهما نهاية عمل وبداية آخر، فالتوبة بسبب ذنب أو بسبب اقتراف إثم وندم على ذلك، والنية بداية عمل وأساسه، فالتوبة على الإنسان واجبة وهي اعتراف بالذنب، وشعور بالندم عليه، وإذا كانت خالصة لله سبحانه فهي تجب ما قبلها من الآثم، والتائب عن الذنب كمن لا ذنب له،"على كل جارحة توبة، فتوبة القلب عقد النية في ترك المحذور، وتوبة العين الغض عن المحارم، وتوبة اليدين ترك البطش في تناول ما ليس له، وتوبة الرجلين ترك السعي فيما لا يجمل، وتوبة البطن ترك أكل الحرام، وتوبة السمع الصمم عن سماع المحارم، وتوبة الفرج التتزه عن المحارم والفواحش"^(١).

والندم على الذنب توبة، وتوبة الجوارح الكف عن استخدامها في غير ما أمر الله، والنادم الصحيح لا يعود للذنب مرة ثانية، وباب التوبة مفتوح للمسلم والأعمال بخواتيمها، والتوبة تحتاج إلى نية ولا عمل لمن لا نية له، فالنية بداية الأعمال، وعقد النية شروع بالعمل والأعمال بالنيات، ولا خير في الصدقة إلا مع النية، ونية الإنسان أساس عمله، ونبل الرجل عقله، والنية والتوبة مصدرهما القلب "ندمك على الذنب توبة منه، وليس في التوبة شيء أشد من الندم، لأن النادم الصحيح الندم لا يعود إلى الشيء الذي صح ندمه عليه ولا يحلو له"^(٢).

وما دام مصدرهما من القلب فقد لا يحتاج إلى التلفظ بهما لأن الدليل عليهما ليس اللفظ، وإنما العمل والتنفيذ، فلو صدق فيهما لظهر أثرهما في سلوكه وتصرفاته، فالندم على الذنب ليس من عصر عينيه وبكى ندما على ما فرط، وإنما الكف عن الذنب الذي من أجله بكى، فالكف عنه أبلغ من الندم بعد فوات الأوان.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٨، وانظر ص ٢٧٩، ٢٨٧.

الموضوعات الاجتماعية

هي ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والواقع الاجتماعي، كالأخوة والصداقة، والمرأة، والعلم والتعليم، والإسراف والاعتدال، ووجوه اكتساب المال وانفاقه، وطبيعة العلاقات السائدة بين أفرادها من تكافل وتراحم ومودة وعطف في صورتها الإنسانية المثلى، وما في هذه العلاقات من حسد وظلم وغيبة ونميمة في صورتها السلبية التي لا تليق بإنسانية الإنسان وبتكريمه على سائر المخلوقات .

والعلاقات السائدة إما أن تكون مع أخ صديق ذي قرابة، أو مع عدو لدود، فهي لا تتجاوز هذين الصنفين: - إما أخ في الدين والعقيدة بينك وبينه روابط دينية واجتماعية، وإما أخ في وحدة الخلق والطبائع فهو أخ في الإنسانية والتكريم، كلكم لآدم وآدم من تراب، وهو مستخلف في الأرض إدارة وإعماراً.

فهو من المثاليين فكراً وسلوكاً في أفعاله وأقواله، يؤدب نفسه ويستأصل نقائصها، ثم يعظ غيره، الصداقة عنده مقدسة لا تهن أمام الظروف، صداقة مودة لا صداقة مصلحة، وصديقه صنو نفسه، فإن عدل فعنله لنفسه، وإن جار فجوره ظلم لنفسه وغيره، والإخوان زينة في الرخاء وهم الأعوان، وعدة في البلاء، والمرأة في الجانب المشرق هي الأم والزوجة وتمثل الرفق والحب والحنان وهي عنصر متمم للرجل، فيها عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة.

• الإخوان:-

هم المرأة التي تعكس سعادتك وشقاءك ، وهم الأعوان ، فسعادتك بسعادتهم وشقاؤك بشقائهم، فالأخ قطعة من نفسك ، والعاجز من عجز عن اكتساب إخوانه، وأعجز منه من ضيع من وجده منهم، إكرامهم واجب، وغفر زلاتهم مكرمة، والتماس العذر لهم في نقصيرهم فضيلة، والإساءة إليهم لوم، والتعدي عليهم منقصة.

فالأخ كالعضو من الجسد، وهو المساند والمعاون تستشير به الملمات، وتبثه شكواك وهمومك، فإذا ما نزلت به محنة أو مصيبة فانت شريك بها، فمن الواجب أن تبذل له ما تستطيع من رفدك وعطائك، ولا تمن عليه بذلك، "وأما إذا ما تعرض لزوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمساواة وإما بالخذلان" ^(١) .

وليس معنى الأخوة أن تصادر رأيه ، فله من الخصوصيات والمصالح الذاتية مالك وما لغيرك، فقد تختلف معه في وجهات النظر، وقد تتعارض معه في المصالح، ولا يعني هذا الاستغناء عنه والاستعفاء من مسؤولياتك تجاهه، بل لا بد أن تمنحه الحرية كما يمنحك، وتحترم رأيه كما يحترم رأيك، وتتجاوز عن كل ما يؤدي إلى خلاف أو قطيعة أو حرمان، فالأخ ليس عبدا خاضعا ولا امرأة تطلقها أنى شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، "ولا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت، أو كالمرأة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخذانه" ^(٢) .

وقد ورد هذا القول في "كتاب الأدب الكبير والأدب الصغير" لابن المقفع ^(٣) كما ورد

في مخطوطة الريحاني "جواهر الكلم وفرائد الحكم" بلفظه ومعناه.

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم / مصدر سابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ .

(٣) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ٧٤

الإمام علي	ابن المقفع	الريحاني
أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم (١).		من قصر في طلب الإخوان كان عاجزاً، وأعجز منه من ضيع من وجده منهم (٢).
	اجعل غاية تشبثك في مؤاخلة من تؤاخي ومواصلة من تواصل في توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطعية أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت، أو كالمرأة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخذانه (٣).	وطن نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطعية أخيك وإن ظهر لك منه ما تكره، فإن الصديق ليس كالمرأة التي تطلقها إذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك، فاجعل غاية ما عندك في مؤاخاة من تؤاخي (٤).
	إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة، أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة فتشاركه البلية، وإما بالخذلان فتتحمل العار فالتمس المخرج عند أشباه ذلك وأثر مروءتك على ما سواها (٥).	نائبة من نوب الزمان إذا عرضت لأخيك من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمساواة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فباحتمال العار فالتمس المخرج عند ذلك، وأثر المروءة على ما سواها (٦).

(١) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ٤/٤.

(٢) ورد في حاشية (٣)، ص ٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٧٣.

• الأصدقاء:-

الصديق من صدقك لا من صدقك، فإما أن يكون من إخوان السعادة، وإما أن يكون من إخوان الشقاء، فإخوان السعادة هم الأعوان، أما الصنف الثاني فهم أصحاب الأحقاد والأضغان، وهم أصحاب المصالح الآنية وهم الأعداء كما ورد في قوله تعالى: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"^(١).

وأما أن يكون صديقاً وفياً، وإما أن يكون صديق سوء، فالصديق الوفي هو الأخ في القرب والبعد والمودة والإخلاص والوفاء، وربما اتفقت الأقوال في وصف الصديق، فالرسول عليه السلام وصفه، كما وصفه الإمام علي كرم الله وجهه، ووصفه ابن المقفع، كما وصفه الريحاني وقد تختلف وتتباين أو تتفق هذه الأقوال لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، ولا بد من الموازنة بين هذه الأقوال، فالرسول عليه السلام وصفه بالمسك، كما وصفه الريحاني بذلك، ووصفه ابن المقفع في مودته بالكوز من الفخار، كما وصفه الريحاني بذلك بدون أن يشبهه، بشيء وصنف الإمام علي الأصدقاء بأنهم ثلاثة كما صنفهم الريحاني كذلك.

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن صديق السوء، فهو كالحية والنار ونافخ الكير والفخار، واشترك مع السابقين في هذه الأوصاف وأضاف إلى ما ذكر تشبيهه بالسيف الكليل.

(١) الزخرف، آية ٦٧.

قول الرسول ﷺ	ابن المقفع	الريحاني
مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافع الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافع الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة ^(١) .	صحة الاشرار تورث الشر كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيّبا، وإذا مرت بالنتن حملت نتنا ^(٢) .	نعم الظهير الأخ، هو كمسكة التاجر، خفيف حملها ينعم بريحتها وطيب عرفها، فإذا افتقر إليها، وجدها ثمينة ولفاقتها سادة ^(٣) .
	الصدقة بين الأخيار سريع اتصالها، بطيئ انقطاعها، كالكوز من الذهب؛ سريع الإصلاح بطيء الإنكسار. والصدقة بين الأشرار بطيء اتصالها، سريع انقطاعها، كالكوز من الفخار؛ إذا كسر لا يصلح ^(٤) .	سريعة الاتصال بطيئة الانفصال مودعة الصلحاء، بطيئة التأكد سريعة النقطع مودة الأشقياء ^(٥) . الصديق السوء كالحية على قارعة الطريق، يفرق منها كل من راها ^(٦) . وهو كالسيف الكليل يتعب حامله بثقله، فإذا احتاج إليه نبأ عن الضريبة ^(٧) . أو هو كالنار إن لم تحرقك بشرها أنتك بدخانها ^(٨) . "مثل الأحق كالفخار؛ لا ترفع ولا تشعب، ولا تعاد طينا، وكالثوب الخلق إن رقعته من جانب تمزق من جانب آخر ^(٩) .

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، بلا طبعة، دار الحديث، القاهرة، المجلد الخامس، ص ٢١٠٤، رقم الحديث ٥٢١٤.

(٢) ابن المقفع، عبدالله بن ١٤٣ هـ، كلیلة ودمنة، مصدر سابق، ص ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٠.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٦١.

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٦٠.

(٧) المصدر نفسه ص ٤٤.

(٨) المصدر نفسه ص ٧٢.

(٩) المصدر نفسه ص ٢٤٩.

الريحاني	الأمام علي كرم الله وجهه
صديق الإنسان من حفظه في نكته وغيبته وبعد موته. (٣)	لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: - في نكته، وغيبته، ووفاته. (١)
علامة الصديق المخلص، أن يكون لصديق صديقه صديقا، ولعدو صديقه عدوا. (٤)	أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صديقك وصديق صديقك، وعدو، عدوك وأعداؤك: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك. (٢)

مثل هذه الأوصاف صورت الصديق بايجابياته وسلبياته، فالإنسان يختار من يمانئه إن كان خيرا أو شريرا، والأرواح تختار ما يناسبها، فما تشابه منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف والإنسان كائن اجتماعي لا يعيش بمعزل عن غيره، فالقرب من الناس يكسبك صديق السوء، والبعد منهم يكسبك العداوة، "تقريبك للناس، ومخالطتك لهم يكسبك صديق السوء، ويجري عليك الوغد وانقباضك منهم يكسبك العداوة" (٥)، وهذا معنى قول الإمام علي كرم الله وجهه "خالطوا الناس مخالطة إن متم بكوا عليكم وإن عشتم حنوا إليكم" (٦) وهناك بعض الموضوعات المشتركة التي تتعلق بالصدقة والصديق، وقد ورد ذكر إخوان الصفا في باب الحماسة المطوقة والحديث عن وفاء الجرذ للحماسة، "فالمودة بين الصالحين سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب؛ بطيء الانكسار سريع الإعادة هين الإصلاح، إن أصابه ثلم أو كسر، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار، ينكسر من أدنى عيب ولا وصل له أبدا" (٧).

وربما كان الوفاء والبعد عن الأنانية وإثره الآخرين على النفس هو سبب اقتناع الغراب

(١) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ٤/٤.

(٢) المصدر نفسه، ٧٧/٤.

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٠.

(٥) المصدر نفسه ص ٥٣.

(٦) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ٤/٤.

(٧) ابن المقفع، كلیلة ودمنة، مصدر سابق، ص ٢٣٥.

بحب مصاحبه الجرذ بعد ما تبين شدة وفائه للحمامة المطوقة، وصفاء العلاقة يكون في البعد عن حب الذات، "ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبته".^(١)

فحدثني عن إخوان الصفا ، كيف يبدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض؟ قال الفيلسوف إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً، فالإخوان هم الأعوان على الخير كله.
"إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلان عليهما، وهما ذات النفس وذات اليد، فالمتبازلون ذات النفس، هم الأصفياء، وأما المتبازلون ذات اليد، فهم المتعاونون، الذين يلتصق بعضهم الانتفاع ببعض، وتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد، وإني وثقت منك بذات نفسك".^(٢)

فإخوان الصفا ربما كانت تأسيساً واقتداء بالحمامة المطوقة وعلاقتها بالجرذ، وقصة الحمامة مع بقية الحمام إذ تؤثر سائر الحمام على نفسها، وكأنها ليس لها في نفسها حاجة، وقد نصحن الجرذ بأن لا تدخل الأنانية في نفوسهن، وتكن نفس إحداهن أهم إليها من نفس صاحباتها.
ربما كان منطلق التسمية لإخوان الصفا الإنموذج والمثال والقوة في العلاقة التي تقوم على التعاون والمحبة والمودة، وتفضيل الآخرين على النفس، والبعد كل البعد عن الأنانية، والبعد عن إقامة العلاقة على أساس نفعي أو مصلحة آنية تنقضي الصداقة بانقضاء المصلحة.

وربما كان هذا الموضوع بمكان عند الإمام علي وابن المقفع والريحاني، وكان من بين الحديث عن الصداقة وصفات الصديق وواجباته، الحديث عن الإخوان، وقد وردت العبارة التالية بعينها عند ابن المقفع والريحاني " غم فراق الأحبة لا يعدله غم، وسرور صحبة الإخوان لا يعدله سرور، ولقاء الأحبة مسلاة للهم"^(٣)، فلا عيش مع فراق الأحبة، وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده، وحرّم سروره، وعشى بصره.

(١) ابن المقفع، عبدالله، كليله ودمنة، مصدر سابق ، ص ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٦

(٣)الريحاني ، مخطوطة جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ، ص ١٩٤ .

وانظر كليله ودمنة، ص ٢٤٧، " لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم".

والفرق واضح بين ابن المقفع والريحاني، فالأول يذكر الحكمة والموعظة من خلال قصة ربما تكون إنسانية أو حيوانية، يعتمد فيها على الرمز، ويحاول ربط الواقع أو الجانب العملي بالجانب النظري، وأقواله ومواعظه تأتي في سياق قصة هادفة ذات مغزى، بأسلوب وعظمي تهذيبي تعليمي بعيد عن التقرير ولغة الخطاب.

أما الريحاني فيقتصر على الحكمة والموعظة، التي يضمها إلى حكمة أخرى معتمدا على وحدة الجملة لا وحدة الموضوع، يرسم الإنسان الا نموذج أو المثالي الذي يتصوره في مخيلته لا في واقعه، فإذا ما تحدث عن جانب مشرق قابله بجانب مؤلم، ولعل الجانب السلبي في الواقع وفي الحياة اليومية أكثر وضوحا، ويحاول أن يجعل من السلبيات أو يستبدلها بالجوانب الإيجابية والمثالية، التي يراها في جوانب الخير، ويتمنى أن تسود هذه الجوانب والمبادئ التي نادى بها الريحاني، وهي المبادئ التي اعتمدها إخوان الصفا من بعده في عدم معاداة أي مذهب من المذاهب، أو علم من العلوم.

وكان اعتماد الحيوان في موضوع العلاقات الاجتماعية اعتقادا بوحدة الخلق "نظرية الطباع"، وهذا التماثل في المملكة الحيوانية التي ينتهي إليها الإنسان صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم"^(١).

والرغبة في العلم لذات العلم لا لغرض من الاغراض المستفادة، وربما كانت طريقة إخوان الصفا هي الأسلم، فلا تعصب لمذهب، ولا طلب لعلم من العلوم دون آخر، بل طلب كل العلوم فمثل هذه المبادئ هي التي تجعل من الحياة واحة أمن، فلا نزاع من أجل مصالح الدنيا، ولا عبودية ولا أنانية، فالجميع سواسية في النظم السياسية والاجتماعية، وربما تنازل الإنسان عن بعض حقوقه إرضاء لخصمه كما فعلت الحمامة المطوقة، التي طلبت من الجرذ أن يفك سائر الحمام قبلها حتى لا يمل، فمثل هذا الإحساس بالمسؤولية نحو الجماعة التي تنتمي إليها، التي تقوم على أساس أخلاقي يترفع عن الإنانية وحب الذات، علاقة إنتماء وتضحية تتجاوز المنفعة والمصلحة الخاصة.

(١) الأنعام، آية ٣٨.

• المرأة:-

هي الأم والأخت والبنات والزوجة، وهي إنسان قبل أن تكون أيا من هؤلاء، فإن كانت زوجة فإما أن تكون صالحة فنعم ما ذكرت ، وإن كانت فاجرة فبئس القرين ، وهي بهذا الوصف من أفسد الأمور بالدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال.

وقد حذر من النساء إذا كانت فاجرة فهي لا يوثق بها كما لا يوثق بدوام المال "لا تتقن بامرأة ولا تغترن بمال وإن كثر.." (١). وغيره المرأة مفتاح طلاقها . والزوجة الصالحة والولد البار خير عظيم، والنساء يكون حفظهن من غير ما يعلمن، لأن النفوس تنفر من السيطرة "حفظ المرأة يجب أن يكون من حيث لا تعلم فإن من شأن النفوس النزاع إلى ما منه منعت" (٢)، ومعاملة النساء تحتاج إلى رفق وأناة كما تحتاج إلى صبر، وهن كما ذكر أصناف وقليل من يصبر على أذهن أو فتنتهن . وكان يقيم علاقته بالجواري في فترة صباه، وقسم التوحيدي حياته إلى طورين:- فترة الصبا والشباب، وفترة الشيخوخة، فكان يقيم العلاقة مع الجواري، ويستمتع بمحادثتهن حتى أنه يؤخر الصلاة عن وقتها، وإن حدث ذلك في الطور الأول فلا أظنه يحدث بالطور الثاني، وكان يحب ويعشق، وفطر على رقة الإحساس.

وكان يملأ الدنيا بالكلام عن الزهد والتقص والتسك، كان صورة لنزاع بين القلب والعقل، بين ذلة القلب، وعزة الجاه، كان رجل يفهم أن المفروض عليه أن لا يعرف بغير النقي والعفاف. ولم تكن دنيا الناس تسمح لرجل مثله أن يخاطر بسمعته في سبيل جارية أو في سبيل وجد أو صباية، ويكاد يكون الطور الأول نزوة من نزوات الشباب، وما يمثله أصدق تمثيل طوره الثاني، بما فيه من تقوى وصلاح وورع ، وبما فيه من مثالية وزهد وتصوف فكان يقف موقفا جادا من المرأة محذرا منها ومن أساليبها، واعتبرها من ملذات الحياة ومتاع الدنيا، وهي إلى زوال ولا يبقى إلا تبعاتها، وتغيرت نظرته حين اكتوى بنارها ورآها بعقله لا بقلبه، واستبعد عاطفته فكانت نظرته أقرب إلى الصواب.

الريحاني	ابن المقفع
" من أفسد الأمور بالدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال، وأذهبها للعقل، وأزراها بالمروءة وأسرعها في ذهاب الوقار الغرام بالنساء." (٤)	" اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأقتلها للعار وأزراها وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء." (٣)

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٨١، وانظر ص ٩٩، ١٩٥، ٢٥٨، ٢٧٣ .

(٣) ابن المقفع، كلیلة ودمنة ، مصدر سابق ص ٩٩ .

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٥٨ .

الأخلاق الفاضلة :-

كثيرة هي الأخلاق الفاضلة التي شغل بها الريحاني ودعا إليها، وإن تحلى بها القليلون فهم كالمصابيح ينثرون لغيرهم دياجير الظلام، وهم أصحاب الفضيلة والفضل بفضل تمسكهم بالأخلاق والمبادئ والقيم، وأبوا الانحراف والزيغ، واتباع الهوى ليكونوا قدوة لغيرهم في سمو أخلاقهم ومبادئهم، ولا يزيغ منهم إلا هالك. والأيام صحائف فخلدوا فيها الجميل.

والعلماء ورثة الأنبياء، تقع عليهم مسؤولية كبيرة في التوجيه والإرشاد والبذل والعطاء، فعطاؤهم معنوي في إرشاد ضال، أو توجيه منحرف، أو إحقاق حق، ودحض باطل، وقد يفعل الكلام في موضعه ما لا يفعله السيف، ولا يقل دور اللسان والقلم عن دور السيف، فللسلم وسائله وللحرب عدتها .

والعقل هو ركيزة العمل، والعمل هو أساس الحياة، فبالأفعال لا بالأقوال تكون الفضائل أصدق وأبلغ، فالحياء والعفة، والعفو والصدق، والجود، والمرءة، والشكر، والصبر كلها فضائل يتسم بها سلوك المؤمن وهي في موضعها دواء لكل داء. وأول هذه الفضائل :-

الحياء والعفة :-

من صفات المؤمنين بالله رجالاً ونساء، وهي من النساء أوجب ، والحياء والعفة، مانع من الانحراف واقتتراف الآثام ، ولا يقتصران على عمر أو فئة عمرية محددة ، بل يطلبان من الشباب والشيوخ، وهما لا يكونان بين الناس بعضهم مع بعض فقط ، بل مع الإنسان وربّه، ومع الصديق وصديقه، وبين الرجل والمرأة .

والحياء له مواضع، وفي غير موضعه وهن، "ولا خير فيمن لا يستحي من العيب، ولا يرعوي عند الشيب"^(١)، فمن فقد الإحساس لا يستحي من شيء، ومن لا يحترم شيبته وسنه فقد فقد حياءه.

والحياء من الله في قرب العبد وفي بعده، ويكون ممن لا تراه، وهو يراك، والحياء من الله يكون بقدر قرب الإنسان وخشيته من الله . كما أن العفة هي إمتناع عن الشبهات والشهوات، وتنزه عن اقتتراف المحرمات.

"استح من الله لقربه منك، واستح ممن لا تراه وهو يراك"^(١). "والمانع من المساوىء هو الحياء"^(٢).

العفو والصدق والجود:-

العفو لا يكون إلا عند المقدرة وإذا كان بدونها فهو عجز. والصدق: سمة الأبرار وهو يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. والجود قد يكون معنويا وقد يكون ماديا فهو للعامة بشرك وحسن لقائك، وبذل معروفك، وأما للخاصة فهو بذل مالك.

"إذا ما عفوت فلا تشن وجه العفو بالتقريع"^(٣). وإذا ما تصدقت وبذلت فلا تبطل جودك باليمن والأذى، وإذا ما قلت فتحر العدل في قولك، ولتكن غاية نفسك إرضاء الله سبحانه وليس إرضاء الناس.

ولا يكون الصدق بالأقوال وإنما الصدق بالأفعال، ولا يعد الجود جودا إلا في الضيق، ويكون الصدق حرجا عند إمام جائر، "صعاب الأعمال ثلاثة: الجود في قلة، والورع في خلوة، وقول الحق عند من يخاف ويرجى"^(٤).

ويكون العطاء بغير من ولا إسراف وهو مخلوف ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية "فالغنى بغير بخل، والنفقة بغير إسراف، والصدقة بغير منة إذا وجدت في شخص فقد جمع خير الدنيا والآخرة"^(٥).

المروءة:-

هي أن تؤثر الآخرين على نفسك، وتحب لهم ما تحب لنفسك، ولا ترضى لهم ما لا ترضاه لها، وهي من أخلاق الشرفاء يتغاضى عن أشياء كثيرة من أجل إرضاء الآخر، ويثني على الآخرين عند تقديم معروفهم له، ويقلل شأن معروفه، يؤدي ما عليه من واجب، وينقص من حقه.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٨ وأنظر ص ٧٩، ٩١، ١٢٩، ١٨٠، ١٨٤، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٨٦.

والمروءة قرينة الأدب وبه تزيد جمالا " ولا مروءة لمن لا أدب له، ولا أدب لمن لا عقل له ،
والمروءة اجتناب الرجل ما يشينه، واختياره ما يزينه"^(١). فالمرء يختار ما يناسبه ويبعد عن
الشبهات ، كما يبتعد عن الأهواء والفتن والانحراف، ويختار أعمال الخير، ويتجنب الشر وسبله.
وكل أعمال الخير هي من المروءة سواء البذل والعطاء، أو البشاشة وحسن اللقاء، أو
إكرام الضيف، والاقتصاد في المعيشة، والصبر على النائية، والعفو عند المقدرة، وكف الأذى.
" ثلاث من كن فيه فقد تمت مروءته، من تفقد في دينه، واقتصد في معيشته، وصبر على
النائية إذا نزلت "^(٢). والمروءة أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك"^(٣).

أن تعطي أكثر مما تأخذ " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"^(٤) وترى أن لك
أقل من غيرك، ولا تخص نفسك بشئ دون غيرك، ويقابلها في الخلق الأنانية وتفضيل النفس على
الغير، ومثل هذا التصرف يكون غير مقبول عند الخالق سبحانه ولا عند مخلوق، والمنصف من
ساوى الآخرين بنفسه، وساوى نفسه بغيره.

الشكر:-

هما شكران، شكر الله على نعمة وآلائه، وشكر للآخرين اعترافا بفضلهم، وتقديرا لما
قدموا وبذلوا، ولا ينكر الجميل إلا جاحد، والقيام بالشكر يعني المزيد من الخير " لئن شكرتم
لأزيدنكم"^(٥). ومن شكر استحق الزيادة، وعدم الشكر نذير الزوال. " قيدوا نعمة الله بالشكر وقيدوا
العلم بالكتاب"^(٦). فالنعم مرتبطة بالشكر في ثباتها، والعلم مرتبط بالتدوين والكتابة، والزوال
والطمس للنعمة والكتابة، بترك الشكر والتدوين.

والشكر دليل التواضع، واستمرار النعم، وبقدر إخلاص الشكر تثبتت النعم ولا
تسلب ، وشكر الفقير عند المصائب امتحان لصبره، وشكر الغني في دوام الرزق واستمراره
ابتلاء له ؛ لأن قليل الرزق يكفي، وكثيرة يطغي ويلهى. وقد يفتن الإنسان وقد يسلب الرزق إذا لم
يؤد حق الله وحق الناس فيه. فكل شئ له زكاه حتى الجاه والشرف زكاته في قضاء حوائج الناس.

(١) الريحاني ، مخطوطة جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ، ص ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤ وانظر ١١٠، ١٤٢، ١٥٣، ٢٦٣، ٣٠٢.

(٤) الحشر آية ٩.

(٥) إبراهيم آية ٧.

(٦) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ، ص ٢٠٢ وانظر ٥٧، ١٤٣، ١٥١، ٢٥٤، ١٨٣، ٢٦٣.

"فالشكر للنعمة السابقة يقتضي نعمة مستأنفة"^(١) "وعلى قدر إخلاصك الشكر تثبت عليك

النعم"^(٢)، وشكر الفقير عند المصائب أفضل من شكر الغني عند المواهب"^(٣).

وكثير من ينسى المعروف ولا يقدم شكره، وعندما تعرض له حاجة أخرى يذلل نفسه بكثرة التودد ويجلب خيله ورجله لإصلاح ما أفسد، وليبني ثقة من جديد، ويعتذر عما بدر منه من فساد.

الصبر:-

من مكارم الأخلاق ، وهو صبران : صبر على ما تحب، وصبر على ما تكره، والصبر على المصيبة أعظم أجرا من الجزع منها، والصبر على العبادات، والصبر على كسب الرزق وتحمل التكاليف، والصبر على البذل، والصبر عن الشهوات ومغالبة النفس هي من أنواع الصبر وفروعه. والمؤمنون أعظم صبرا وأكثر بلوى، ولثام الناس أصبر أجسادا على الضرب والعذاب، بينما المؤمنون أصبر نفوسا.

والمؤمن إذا أصابته سراء شكر، وإذا أصابته ضراء صبر ويتحلى بالصبر عند الغضب، وعند معاملة قرين السوء ويصبر على آذاه كما يصبر على الحسود وحسده.

الإمام علي	ابن المقفع	الريحاني
من صبر، صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار ^(٤) .	ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء، وجليس السوء؛ فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك ^(١) .	ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء فإن ذلك ما لا يكاد يخطئك ^(٢) .
الصبر صبران :- صبر على ما تكره، وصبر عما تحب ^(٥) .	اعلم أن الصبر صبران: صبر المرء على ما يكره، وصبر عما يحب، والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه	الصبر صبران:- صبر على ما تكره، وصبر عما تحب، فالصبر على المكروه مكرمة، والصبر عن المحبوب مغالبة للنفس وهواها، فإن

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٤٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٤) عبده، محمد، نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ٩٦/٤ .

(٥) المصدر نفسه، ١٤/٤ .

(٦) ابن المقفع ، الأدب الكبير والأدب الصغير ، مصدر سابق ، ص ٨٤ .

(٧) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١١٢ .

مضطرا ^(١) ..	ظفرت بهما فازين بهم ظفرا ^(٣)
اعلم أن اللثام أصبر أجسادا، وأن الكرام هم أصبر نفوسا، وليس الصبر الممدوح بأن يكون جلد الرجل وقاحا على الضرب، أو رجله قوية على المشي... فإنما هذا من صفات الحمير، ولكن الصبر الممدوح أن يكون للنفس غلوبا. ^(٢)	لثام الناس أصبر أجسادا، وكرامهم أصبر نفوسا، وليس الصبر المحمود والممدوح بأن يكون جلد الرجل قويا على الضرب، ولا رجله قوية على المشي، وإنما ذلك من صفات الدواب، ولكن تكون للنفس غلوبا ^(٤) .

المواعظ:-

كثيرة هي في مختلف المجالات، للدنيا والآخرة والحياة وللممات، في طبيعة التعامل مع الناس، ومع السلطان والعامّة، وفي الفقر والغنى، وفي السلم وفي الحرب، وفي الطب والاقتصاد وفي السياسة، وفي الأدب وفي التجارة، وقد لا يتسع المجال أن نذكر المواعظ التي ذكرت في هذه المجالات ونكتفي بذكر مالم يذكر في الأبواب السابقة، تجنباً للتكرار والتطويل والإطناب، وأحلول أن أوازن بين ما ورد من مواعظ متشابهة بين كاتبنا وكتاب عصره، كالجاحظ أو السابقين الذين تأثر بهم كالإمام علي كرم الله وجهه، وابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب وغيرهم. فأحيانا كان التأثير بالمعنى، وأحيانا كان التأثير باللفظ والمعنى، فجاءت الأقوال متطابقة إلا أختلاف في بعض المترادفات، وقد سبق ذكر بعض الأمثلة وأوجه التشابه، وأول هذه الموضوعات التي أكثروا فيها الكلام، موضوع الصمت والكلام.

الصمت والكلام :-

لكل منها موضع يليق به، ولا يقل الصمت فضلا عن الاستماع، كما لا يقل الاستماع فضلا عن الكلام، والفرح بكف اللسان عن الكلام بالخطأ أفضل من النطق بالصواب، والكلام

(١) ابن المقفع ، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق ، ص ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه ، مصدر سابق ص ٨٥ .

(٣) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ، ص ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

شاهد لك وعليك فإذا خرج لا يرد، وزلة اللسان أوقع من ضرب السنان، لأنها لا تعالج ويمكن الحذر من اللسان بكفه عن الإساءة، "وسجنه لأنه أحق بالسجن إلا عن حق يوضحه، أو باطل يدحضه، أو موعظة شافية ينشرها" (١).

فخير الكلام ما كان بعد تفكر وروية، وشره ما كان قبل التفكير في نتائجه، لأن العاقل لسانه بعد عقله، بينما الجاهل لسانه قبل عقله. واللسان يجب أن يكون من خدم العقل. وكثيرا ما يكون فضول الكلام يسئ إلى الكرام ويجسر اللئام، ولا يمكن مسايرة الجاهل بحمقه ولكن جوابه عدم الرد، عليه وكذلك لا يصل الإنسان ولا يحصل على حق له في محاوره من لا يقبل الحوار، فلا ينصف العاقل أو الحليم من الجاهل، والبر من الفاجر، والرفيع من الداني، ويجب أن يعد الكلام من العمل ليقول الكلام، وما يمدح زيادة القول على الفعل لأن زيادة القول على الفعل عار وهجنه، وزيادة الفعل على القول مكرمة.

ويمكن إثبات التأثير والتأثير بين الريحاني وغيره في الجدول التالي:-

الإمام علي	ابن المقفع	الريحاني
من أكثر كلامه أكثر خطؤه، ومن أكثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه دخل النار. (٢)	تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والاقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول (٤).	من أكثر كلامه، أكثر خطؤه، ومن أكثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، تعلم الصمت كما تتعلم الكلام واخزن كلامك كما تخزن دراهمك، فمن علامة العالم كثرة صمته (٥)

المعاصرة:-

من حسن الأدب أن يبدأ الإنسان بتأديب نفسه قبل أن يؤدب غيره، ومن عجز عن أدب نفسه، كان عن أدب غيره أعجز، وهو زينة الرجال كالحلي للنساء، فتعلم الأدب ولو في كل يوم

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٣٨، وانظر ٤٥، ٥٨، ١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٢، ١٥٣.

(٢) عبده محمد، نهج البلاغة، دار المعارف، ٤ / ٨١، ٩١ / ١١.

(٣) المصدر نفسه، ٩١ / ٤.

(٤) ابن المقفع عبدالله، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ١١٩.

(٥) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

كلمة كثير في موضع حاجتك إليه، وهو صورة العقل، ولا ميراث خير من أدب، والجاهل بعيد عن الأدب والتأديب كبعد النار من الاشتعال بالماء.

وكل مكان أو مجلس له آداب يتحلى بها، ففي مجالس العلم الصمت وحسن الاستماع، وفي مجالس الملوك الثقافة، وعدم رفع الصوت، والإجابة عند السؤال، والإيجاز بالكلام أو بأقل الكلام، وفي مجالس الناس، الإنصات للمتكلم وعدم مقاطعته، وإفساح المجال للقادم والبشر والبشاشة عند اللقاء، والكف عن فضول الكلام، ومن الأدب تعليم الأطفال قبل اشتغال البال، والعمل بالعلم، وتفرغ القلب له "فرغ قلبك من الاشتغال للعلم فإنما يدرك خير الدنيا والآخرة بالعلم، وتكون من أهله إذا عملت به ومؤدب نفسه أحق بالتكريم من مؤدب غيره، فمن نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه^(١)" "هيء لنفسك منها مؤدبا يدخلها روباها الموعظ لتخلص من درن المساخط، وأنا لك بما تشتهي ضامن"^(٢).

ومن باب الأدب احترام عادات وتقاليد بلاد الغربية عند اغترابك؛ لأنها تدعو إلى السلامة، فكما تحب أن يحترمك غيرك، فالأولى أن تحترمهم وخصوصا إذا اختلفت طبيعة البلاد وأهلها، مع المحافظة على مبادئك وقيمك "متى هبطت بلدا أهله على غير ما تعرف وأنت على غير ما يعرفونه، فاترك كثيرا مما تفعل، وافعل كثيرا مما يفعلون؛ فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم فكيف بمن لم يدار!"^(٣).

(١) الريحاني، علي بن عبيدة، جواهر الكلم وفراند الحكم، مصدر سابق، ص ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

الإمام علي كرم الله وجهه	ابن المقفع	الريحاني
من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ^(١) .	ومن نصب نفسه للناس إماماً في الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والأخلاق، فيكون تعليمه أبلغ من تعليمه بلسانه... ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم ^(٢) .	من نصب للناس معلماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه خصالاً كثيرة، محموداً في اصطناع المعروف، أولها وأجلها القربى إلى الله تعالى، وثانيها المحبة في قلوب الناس، وثالثها الشكر الباقي على الألسنة ^(٣) .
- الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة ^(٤) .		- غربة المرء ذل، وغناه في الغربة وطن، وفقره في الوطن غربة ^(٥) .

العيوب الاجتماعية

تكثر في المجتمعات العيوب الاجتماعية، وهذه العيوب تتعلق بالأفراد، ومنها ما يتعلق بالجماعات، وما ذكر الكاتب منها محذراً من شرورها وآثامها إلا ليرتدع من اتصف بها، ويحذرها من كان بعيداً عنها، وهي تنال الفرد والجماعة، وهو ينطلق في التحذير منها من منطلق إسلامي فما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره، وهي كثيرة ومتعددة، وإذا ما ذكر مساوئ الأخلاق فهو لا يلبث أن يحث على مكارم الأخلاق، ومن الصفات التي حذر منها: - السعاية والنميمة، والكذب، والمزاح، والحسد، والظلم، والشره والشهوة، والمرء والنفاق والكبر والعجب، فضلاعن الغدر والخيانة ونقض العهود، وأول هذه الموضوعات :-

(١) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ١٦/٤-١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤/٤.

(٣) ابن المقفع، عبدالله، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(٤) الريحاني، علي بن عبيدة، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩١.

• السعاية والنميمة:-

خلق لنيم يتصف به ضعاف النفوس والضماير، لبث الفتنة وزرع الحقد والإحن في النفوس، وتبقى البيئة صالحة لطمر نفوسهم في وحل الخلافات، وهل هناك وجه أقبح من وجهه الذي يغتاب أخاه؟ إنها بلية ذميمة لا يضمن بها الدهر الغادر على ضعاف النفوس.

وتكون لكسب طرف على حساب طرف، ببذر بذور الفتنة والنفاق بين الناس إن لم تكن لكسب الطرفين للاستفادة منهما لخدمة المصالح النفعية، والذي يحمل الساعي على السعاية "قلعة ورع، أو شدة طمع، أو لؤم طبع"^(١).

وهي تفسد المودة وتؤجج العداوة، وتفرق الجماعة، وتثير الأضغان والأحقاد بين الناس "أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"^(٢)، وليست هي من أخلاق المؤمن، فالمؤمن لا يقبل أن يكون موقدا للفتن، مثيرا للأحقاد، ساعيا بين الناس لإثارة الخلافات والخصومات، غير آبه بالنتائج المترتبة على أساليبه، وما تتطوي عليه من خداع ومكر.

"فسعاية الرجل نار، وقبولها عار، والعمل بها دناءة، والثقة بأهلها غباوة، وهي جسر للشو فكن على حذر ممن هي فيه"^(٣).

لأن ما يترتب عليها من نتائج تكون بلا بينة ولا دليل، ويصطلي بنارها المجتمع بكامله، ومن عرف بهذه الصفة لا يؤمن جانبه، ولا يطمأن إليه فيكون كالشيطان "إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين"^(٤)، أو هو كالذي يلقي الحب للطير لا لينفها بل ليصيدها، فالهدف عنده اشباع رغباته، وتأمين مصالحه، أو كالذي يؤمن أول النهار، ويكفر آخره ليفتن الناس ويزيد في ضلالهم، لأنه فقد الإحساس والمسؤولية، فأصبحت أخلاقه الذميمة هي قائده إلى الإضرار بالناس، فالحذر الحذر ممن هذا خلقه ودينه.

• الكذب:-

من أخطر الآفات الاجتماعية، والتي لا تقتصر آثاره على فرد أو طرف دون طرف، بل تتعداه إلى فئات المجتمع المختلفة، وهو من صفات المنافقين، وضرب من الدناءة، ونوع من الفحش "فمثلته كالسوس في الخشب ترى ظاهرها صحيحا وجوفها نخرا، لا يزال من يغتر بها يظن

(١) الريحاني، علي بن عبيدة، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٣٦، انظر الصفحات، ٤٥، ١١٢، ١٣٢، ١٨١، ٢١٧، ٢٤٠.

(٢) الحجرات، آية ١٢.

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٦٣١.

(٤) الحشر، آية ١٦.

أنها حاملة ما عليها حتى ينكسر على من تحتها، وتهلك من اغتر بها، فمثل هذه الصفة تدل على أخواتها"^(١).

لذا فالإنسان الصالح يتحرى الصدق ويتعدى عن الكذب، وهو من أقبح ما يوصف به الإنسان في الدنيا، وأشدّهم عذاباً في الآخرة، " تحفظوا من الكذب، فإنه أقبح الأخلاق، وأسقطها قدرا، وهونوع من الفحش وضرب من الدناءة، وأصله استعذاب التمني، وهو من صفات فكر الحمقى"^(٢).

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ٢٩٨، وانظر الصفحات ٣٨، ٥٢، ١٠٦، ١٢٧، ١٤٤، ١٨٥، ٢٢٧، ٢٦٦، ٢٩٢، ٢٩٩، ٢٩٨ .
^(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.

• المزاح :-

ذو عواقب وخيمة بدايته فرح، ونهايته ترح، قد يراد به الفكاهة والمرح ، والتسلية والترويح عن النفس، فيه خفة الظل لكن نتائجه غير محمودة العواقب، ويعد من لهُو الحديث، " فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون"(١).

فمن مازح الكبار هان عليهم، ومن مازح الصغار استخفوا به، وخيره لا ينال، وشره لا يقال، وهو السباب الأصغر، يورث الندامة، وفيه النقص بالدين، والإثم العظيم، ويذهب الهيبة والوقار " للمزاح خصال:- أولها ذهاب الورع، وذهاب الهيبة، وخيانة المجلس، وهدم المودة القديمة، ومذمة العقلاء، وسخرية السفهاء، وأن يكون فرحه قليلا، وغمه طويلا، وهو يقسي القلب ويكون عليه وزر من اقتدى به"(٢).

وكان قد عاتب صديقا له بعد أن انقطع عن زيارته، من مكان يدعى " قطيعة الربيع " كيف أعاتبك على القطيعة وأنت من أهل القطيعة؟"(٣) وهذا نوع من خفة الظل والمداعبة الحلوة لأصدقائه، وقد يعتمد بعضهم بالمزاح إلى الإساءة والسخرية من الطرف الآخر مما يثير حفيظته، وقد لا يوافق المزاح الشخصيات الجادة، لأن الهدف منه إضحاك الناس والتسلية، وربما يؤدي إلى سوء الفهم والهجر والقطيعة، " وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"(٤).

فالمزاح والإكثار منه قد يؤدي إلى نتائج سلبية مستقبلية، وربما كان هذا من أسباب التحذير منه، وويل لمن يريد إضحاك الناس بإغضاب ربه ! حين يخوض في أعراض الآخرين، أو يتعرض لهم بالسوء والإهانة، وفيه تعد على حقوق الآخرين، فإن كان ما قلته في صديقك فقد بهته، وإن لم يكن فيه فقد اغتبتته، وقد تعيره بعيب خلقي، أو تعيره بما هو فيه من صفة ذميمة، أو صفات مستهجنة وقبيحة فيكون ذلك تشهير به وانتقاص من قدره، فتوغر صدره بالأحقاد، فإن صبر فتكرما، وإن رد الإساءة فالبادي أظلم، وكم عداوة جلبت بالمزاح، وكم فتنة أعقبتها محنة؟، فتحول الصديق عدوا، والسلامة ندامة.

(١) الزخرف، أية ٨٣.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٣٢، وانظر ص ٤٩، ١٠٣، ٢٣٢، ٢٥٠، " مخطوطة " .

(٣) الثعالبي، أبو منصور، ت ٤٢٩ هـ، الإعجاز والإيجاز، ط ١، دار النفائس، ١٩٩٢، ص ٣١ .

(٤) الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، بلا طبعة، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ص ٢٣٦، رقم الحديث ٢١٦٦

• الحسد:-

وجد في الخلق وتفاوت بينهم بحسب اختلاف طباعهم وأخلاقهم، ولا يقتصر على مال أو جاه أو حسب أو نسب، بل يتعداه إلى الصحة والجسد، وشر الأخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه. وهو من أخلاق اللئام، يتكفل بالأقارب والأكفاء وليس بغيرهم، لأن الحاسد يعرف مواطن النعمة، كما يعرف اللص مواطن الدراهم " فاحترس من حاسدك كما تحرس على دراهمك" ^(١)، والحسد لا يقتصر على الرزق بل يتعداه إلى الصحة والمكانة والجاه، والحاسد يتمنى زوال النعمة عن المحسود لأنه من ضعاف النفوس، وإن لم يجد ما يحسده يحسد نفسه كما يحسد غيره، ويجب الحذر منه لأنه لا راحة له إلا بالإساءة إلى غيره، وخصوصا المقربين منه، فعندما عاد الجاحظ الريحاني في مرضه قال ما تشتهي يا أبا الحسن؟ قال ألسن الوشاة، وأكباد الحساد، وأعين الرقباء أو عيون الرقباء ^(٢).

الريحاني	ابن المقفع
الحسد خلق لئيم يتكفل بالأقارب وليس بغيرهم، ومن علامات الحاسد: أن يتملق إذا شهد ويعيب إذا غاب ويشمت إذا نزلت المصيبة، فاحترس من حاسدك كما تحرس على دراهمك ^(٤) .	واحرس ألا تكون حسودا فإن الحسد خلق لئيم، ومن لؤمه أنه موكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكفاء والمعارف والخطاء والإخوان ^(٣) .
ليس شيء من الشر أقطع من الحسد يقلد الحاسد ست عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود منه مكروه: أو له غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر فيها، وخليفة لا تحمد، وإسقاط الرب تعالى فالبغضة عند أهل الخير، وإغلاق باب التوفيق عليه للدنيا ^(٥) .	

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢١١، ص ١٨٦.

(٢) الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مصدر سابق، ٣٩/٥.

(٣) ابن المقفع، ت ١٤٣هـ، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ٨٨.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢١١، وانظر ص (٤٤ - ٦٤ - ٧٧ - ٢٠٥)، "،

(٥) المصدر نفسه ص ٢١١.

• الظلم:-

هو سبب الهلاك، وهو ظلمات يوم القيامة، به تسلب الحقوق، وتنتهك الحرمات، وبسببه تقام الحدود، وليس شيء أدعى لتغيير نعمة أو تعجيل نقمة من إقامة على الظلم. والظلم أنواع: ظلم لا يغفر وهو الشرك بالله "إن الشرك لظلم عظيم"^(١)، وظلم لا يترك وهو ظلم الإنسان لغيره، وظلم يغفر بالتوبة وهو ظلم الإنسان لنفسه، "وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون"^(٢)، ومن أكثر أنواع الظلم ضرراً، وأشدّها وقعا على النفس، ظلم الإنسان لأقاربه وأهله "وظلم الإنسان لنفسه ظلم لغيره وظلم الأقارب اشد وقعا من السيف"^(٣).

والسلطان هو الموكل برعاية الحقوق، ودفع الظلم، وإنصاف الرعية "ظالم لنفسه من لم يحكم على نفسه كما يحكم على الناس، ومسيء إلى الناس من لم يرد لهم كما يرد لنفسه، وظلمك لمن ظلمت ظلمات بين يديك، وانصف المظلوم قبل أن ينصفه الدهر"^(٤)، ومن يظلم الناس كان الله خصمه.

فإذا ما أردت الابتعاد عن الظلم فعليك بالعدل، فبه تكتسب الأعداء قبل الأصدقاء، فإن العدو يقبل العدل، والصديق يرد الهوى، وعدل الإسلام كان سبباً في إسلام الكثير، عندما رأوا أن الخليفة يقف أمام القضاء كما يقف العامة، وحتى يكون العدل وميزانه قائماً على الأرض، فليكن حكمك على غيرك كحكمك لنفسك، ومن ساوى الناس بنفسه فما ظلمهم، ومن تجاوز عليهم ناله من المكروه ما يردعه عن ظلمه وتجاوزه، لأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .

ومصادر الظلم الوالي ذاته ، وخاصة أهله ، ومن له هوى فيه من رعيته ، "اتباعه"، ومن مال إلى الحق مال إليه الخلق، ومن أَرْضَى الله وأغضب الناس بإقامة العدل والحق كفاه الله ما أهمه، فكن للمظلوم عوناً وللظالم خصماً.

(١) لقمان، آية ١٣.

(٢) النحل ، آية ١١٨ .

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٦٧١ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٠٢، وانظر الصفحات ٩١، ٣٤١، ٣٧١، ٦٧١، ٨٢٢، ٩٤٢، ٨٣٢.

وانظر النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٣٢م، ١٧/٦

الشره والشهوة:-

من أهواء النفس وضعف العقل، والشهوة والشره بهما يذل الإنسان ويستعبد، ويتعدى على ما ليس له بحق، ويحتكم لهواه لا لعقله، وهي من طبائع الكائنات الحية سواء الإنسان والحيوان. فإذا سار خلف شهواته وشرهه فهو والبهيمة سواء، " والشهواتُ لعبٌ، فإذا حضرَ اللعبُ غابَ الجدُّ، ولن يقوم الدينُ وتصلحُ الدنيا إلا بالجد" (١).

ويوقعان صاحبهما في الهلاك، ويحتقره كل من حوله حتى وإن كان مثله، لأن النزول إلى مستوى لا يليق بمستوى الإنسانية هدر للكرامة وخضوع للهوى، وانحراف عن الفطرة، فانه سبحانه كرّم الإنسان وفضله على كثير مما خلق، وإذا أبى أن يحافظ على هذا التكريم فالحقه بالبهائم.

" شرُّ الصرعى؛ صريعُ شهوةٍ يخرج الحوت العظيمُ لشهوته من البحر فيبضع لحمه بالسكين، والعقابُ من جو السماء ينزلُ لشهوته فيصير أسيراً يُتَلعب به" (٢).

فاختار أضخم الحيوانات حجماً الذي كان فريسة لشهوته، وأعلى الطيور شموخاً ونزولها لمستنقع الشهوات، فاختار الدليل ليبرهن أن عزة النفوس وكرامتها إن لم تصن فهي إلى الهلاك، "صونُ المرء نفسه وقمعه هواهُ وشهوَاتِه حليّةُ المروءة، تبلغ به المنازل العلية، وأقرب ما في ذلك ما يحصل له من حُسن الثناء وفضلُ المحبة" (٣).

فإما أن يحافظ على عزته وكرامته، ويقمع هواه وشهوَاتِه، وإما أن يلقي الحبل على الغارب ويسير خلفها، ويتحمل تبعات الذل والهوان وهدر الكرامة، والتنازل عما كرمه الله به من عقل وتميز، فكان أسلوبه خطابياً تعليمياً مقروناً بالتشبيه، وربما كان التشبيه بالحيوان اعتقاداً بنظرية الطبائع ووحدة الخلق.

المراء والنفاق والعجب والكبر:-

أخلاق ذميمة وأسلوب يمجه صاحب الخلق الرفيع، ويتحاشاه الإنسان السوي، ولا يتصف بهذه الصفات إلا أصحاب الضمائر الذين أرخصوا ضمائرهم وتخلوا عن قيمهم وكراماتهم، فالمرائي يريكم أنه معك وهو عليك، والمنافق يرضيك بقوله ويسؤك بفعله، والكبر هو الزهو بالنفس والاعجاب بها والخيلاء والعظمة، وهذه من الصفات التي تتنافى مع فطرة الإنسان، وقول الله تعالى، "خلق الإنسان ضعيفاً" (١).

(١) الريحاني، علي بن عبيدة، جواهر الكلم وفرائد الحكم، المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٣، ونظر الصفحات: ١٦٥، ١٩٦، ٢١١، ٢١٢، ٢٢١، ٢٥٦، ٢٧٦، ٢٨٨، ٢٩٩.

(١) الآية، النساء: ٢٨.

وفي ترك المراء والنفاق راحة للقلب، وبهما لا يبقى مع المرائي صديق، وسبب نفاق المرء من ذله وهوانه على الناس، والتملق استخفاف بالناس وعقولهم، "إياك وصحبة المرائي فإن عاقبتُها ندامة، يُريك أنه معك، وهو عليك فاحذره"^(٢).

والكبر والزهو شعور بالنقص، يحاول الإنسان به أن يخفي عيوبه ويظهر بغير مظهره، والكبرياء رداء الله فمن نازعه فيه أذله الله، ولو فكر الإنسان في أصله ومصيره لما تكبر، فأوله نطفة مذرّه، وآخره جيفة قنّرة، فهو في حياته كشعر الرأس يسان ويعتني به، وبعد موته كالشعر الملقى يبعد ويتخلص منه، وفي هذه الصفات الذميمة هلاكه، "هلاكَ الإنسان في ثلاثة: - الكبر، والحرص، والحسد، ولا يطمعن ذو الكبر بحسن الثناء"^(٣).

فمن تواضع لله رفعه، ومن نازعه كبرياءه أذله، والأشياء تُحمل على مخبرها لا منظرها، وقد يكون الظاهر زخرفاً وبهاءً، والباطن داء عياء، "قالنسرُ على ضخامة جسمه لا يأكلُ إلا الجيفَ، وبغاثُ الطير على ضَعْفها تتحامى ميتَ السمك"^(٤)، "والدرُّ على صغرِها أَعُوذُ من الصخرة على كبرها"^(٥).

فأساليب التضليل كثيرة يتقرب المنافقون بها للناس، ليحصلوا جراء ذلك على مواضع تقّتهم وحسن ظنهم، ويتمادون في التصرف لكسب مصالحهم الذاتية، ومهما تعاظمت قدرات الإنسان فينبغي أن ينظر لعظمة الخالق ويتواضع إجلالاً لله .

الغدر والخيانة ونقض العهود: - "وأوفوا بالعهد إنَّ العهدَ كان مسؤولاً"^(٦).

صفات من اتصف بها لا يؤمن جانبه، ولا يؤثق بعهده، ولا يُطمأن لصداقته. ناعم الحديث، رقيق الأسلوب لينفذ رغباته، فإذا ما وصل إلى ما يهدف إليه، قلب ظهر المجن وأشهر عداوته وخيانتته وتخلّى عن عهوده وموآثيقه.

عهوده وموآثيقه لقضاء مصالحه واغتنام الفرص، وعدم الاطمئنان إليه سبيل السلامة، "جانب الغدر فإنه يجني عليك العتب"^(٧). وهي من علامات اللؤم، أن يُلجأ الإنسان لمثل هذه الأخلاق يغدر حين يُطلب منه الوفاء، ويتخلّى عن العهود والموآثيق حين يُطلب منه صيانتها، وينكث العهد، ويخلف الوعد إذا رأى أن ذلك في مصلحته، فمثل هذا لا يبرم معه عهداً، ولا تبني معه ثقة "دناءة عظيمة الخيانة، وريبة قوية مجالسة الفسقة ومروءة حسنة الوفاء، ومنفعة كبيرة

(٢) الريحاني، ت ٢١٩هـ، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٣٠ وانظر ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦١.

(٦) الإسراء : ٣٤.

(٧) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٧٢.

مجالسة الصالحين" ^(١)، "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً" ^(٢) وهذه الصفات من صفات الأعداء غالباً، والأعداء عدو ظاهر العداوة تحذره؛ وعدو يكتم العداوة ويظهر الصداقة وهو المنافق، وعدو بين جنبيك لا ينتهي الصراع معه ما امتدت بك الحياة وهي نفسك.

والعاقل لا يستصغر عدواً، ومن استصغره أغتر به، ومن أغتر به لم يسلم منه واشتغال الأعداء بعضهم ببعض ظفر حسن؛ لأن في ذلك إضعاف لهم وقوة لغيرهم، "ظفر حسن بغير مؤونة على المرء معاداة بعض أعدائه لبعض؛ لأن في اشتغال بعضهم ببعض شاغل عنه لهم" ^(٣).

وكلما كنت من العدو على حذر ازدادت هيبة عنده، وإذا ما عرف منك ما كان يجهله، ازدادت سطوته، وعرف مواطن ضعفك، والعدو مهما ضعف مخلوق خطر، لأنه يمتاز بالدهاء والحيلة والغدر والخيانة ونقص الموائيق، وضعفه علمه الدهاء، وبصره بأساليب المكر والخداع والحيل، وهو في عداوته كالنار قد تخدم بعض الخمود إن سكنت عنها الريح، أو تناستها أفواه النافخين، فإذا ما توافرت أسباب اشتغالها ازداد أوارها.

والعدو لا أمان له ولا عهد ولا ذمة، وهو ينبت مع الدهر وسهامه تصيبك من حيث لا تدري مهما حاولت انقائها، فإن كان بعيداً لم تأمن سطوته ومكره، وإن كان قريباً لم تأمن وثبته، ويكون اللين معه لدفع شره إذا لم تقدر على مواجهته، ولا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى على قتاله. والعدو يتعامل بالمكر والخداع، والحرب خدعة، ويمكن استغلال مثل هذه الوسائل للإضرار به وتفتيت صفة وأنصاره باستخدام الحجة والحيلة، ولتكسب صديقة إلى جانبك، وتكسب وده بإثارة الانقسام بينه وبين مؤيديه، "من الحيلة في أمر عدوك أن تؤاخي إخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل المشفقين حتى ينتهي ذلك إلى القطيعة، ثم تذيبهم من حلاوة مودتك وإنصافك ما يؤثرونك به دونه ويكونون أعواناً لك عليه" ^(٤). وهذا السبيل هو الذي ينتهجه العدو في تأييد طرف على طرف أو ما يسمى بسياسة "فرق تسد" أو اتخاذ أعوان له من أعدائه كما يفعل في تقسيم الدول، وتنفيذ مخططاته عبر مؤيديه فهو يستغل كل فرصة تسنح له وربما يسخر إمكاناته لخدمة مخططاته وأهدافه وخصوصاً إذا عرف مواطن الخلل والضعف في الطرف المقابل فهو لن يتوانى عن

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ١٠٩.

^(٢) الأسراء: ٣٤.

^(٣) انظر مخطوطة الريحاني ص ١٧٥. وانظر الصفحات ٩٩، ١٨٧، ٢٦٤.

^(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

اغتنام أي فرصة ليوقع في خصومه أو بينهم ، ويبقى بعيدا عن الأنظار وربما يقدم نصائح لأعدائه ويلبس لباس المصلح والواعظ.

الموضوعات السياسية :

كان الريحاني من الذين يدعون إلى تغليب العقل على العواطف، وربما كان هذا تأثرا بمتكملي عصره، ودوام صحبته مع الجاحظ وثامة بن أشرس، ويحيى بن أكنم ويتلخص هذا الجانب بطبيعة أقواله الموجزة والمركزة والمكثفة، التي تعبر عن طبيعة شخصه، واعتدال نهجه ومنطقه الذي يؤمن بالتحاور، والرفق واللين، وحسن التعامل مع كل موقف بما يناسبه لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف.

ويرى أن طبيعة التعامل تختلف بحسب فئات المجتمع، فالأخيار بالمحبة والكرامة، والعامّة بمزج الرغبة بالرهبة، والأشرار بالإخافة والرهبة، ومن أقواله في ذلك التي تعبر عن إيمانه بسياسة الرفق، "دار ولا تمار، وساييس ولا تشارس، ولاين ولا تباين، ومن لم يصلحه اللين أصلحه التليين"^(١).

فالمدارة والرفق واللين غير النفاق والمماراة، والسياسة والحكمة غير الشراسة والقوة، والحكمة والملاينة غير الاختلاف والتنافر، والحلم والروية غير العنف والبطش، ومن لم يصلح باللين والكلمة الطيبة أصلح بالإكراه والإجبار، "فالكلمة اللينة تلين من القلوب ما هو أشد من الحديد، والكلمة الخشنة تخشن من القلوب ما هو ألين من الحرير"^(٢).

*** واجبات السلطان والرعية :** لا تقتصر السياسة على التعامل مع الرعية، بل والتعامل مع السلطان والولاء من السياسة، وشروط صحبته، والواجبات الموكلة إليه كإحقاق الحق وإنصاف المظلومين ومعاملة الأعداء في السلم والحرب وعدم إفشاء الأسرار، وتنفيذ الأوامر، والخوف من الله في تنفيذ الاجراءات والقوانين، والاحتكام إلى الشرع، وبذل النصيح والتوجيه للرعية حين الخوف من ميلها على الراعي، أو حين إجحاف الراعي على رعيته.

"لا يكمل عدل الوالي حتى يكمل علمه بالرعية، ولا يكمل علمه بالرعية حتى تنتهي الرعية بذات أنفسها ويخبر بعضها عن بعض، وليس ذلك بكائن إلا بفتح الأبواب، ولين الحجاب،

(١) الريحاني، مخطوطة جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥.

والنظر في المظالم، فإن ذلك إذا كان هابته العمال، وتناصف الناس دون واليهم الأعظم، فإذا الوالي ماجور فيما تولى من الحق بنفسه، وفيما تعاطى الناس بينهم منه^(١).

فالراعي مسؤول عن رعيته بمتابعة شؤونها وشؤون العاملين فيها، وإنصاف صاحب الحق، والأخذ على يد الظالم، ولن يكون ذلك إلا بفتح الأبواب والاستماع إلى أصحاب المظالم، في عرض أمورهم على أصحاب العلاقة، والتسمع في فتح الأبواب المغلقة دونهم، وحسن الاستقبال من الحجاب لا أن يكونوا هم الذين يحملون الوصفات الطبية قبل زيارة الطبيب، ولا يكون الرد جاهزا لديهم اختصارا لوقت الطبيب والمراجع.

فإذا كان الراعي حازما هابته الرعية ونصر بطيب سمعته وتناصف الناس بعضهم من بعض دونه، من غير قضاة أو ولاية وأجر على طيب عمله، وحصن دولته بالالتزام بنهج دينه "صير الدين حصن دولتك، والشكر حرز نعمتك، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب، وكل نعمة يحرسها الشكر لا تسلب"^(٢).

فالرعية لا بد لها من راع، والراعي لا بد له من بطانة وحاشية فمن هي الحاشية؟ وما شروطها؟ وهل تمتاز بخصائص؟ انها تمتاز بالثقافة والكفاءة وهي المرأة التي تنقل الصورة من الواقع

والاحتجاب عن الرعية إضرار بها وتخل عن المسؤولية فلا يعرف الأخبار، ولا يطلع على الأسرار، ولا يستطيع وضع القرار إلا تبعا للصورة المنقولة إليه، وقد تكون على غير الأصل من تضليل وتزييف فإما أن يكون سخيا بالحق فلماذا الاحتجاب، وإما أن يكون مبتلى بالمنع فيياس منه أصحاب الحاجات.

فالاعتماد على العامة دون الخاصة أولى؛ لأنهم جماع المسلمين وعماد الدين والعدة للاعداء، والخاصه يستأثرون بمصالحهم وهم أثقل مؤونة، وأقل معونة، وأكره للإنصاف ووبال على من هيا لهم ذلك.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥١ وانظر ص ٢٦، ٢٨، ٣٢.

* شروط صحبة السلطان :

الثقافة :

عنصر أساسي عند من رافق السلطان، أو أعتبر من حاشيته والاهتمام بالفكر ديدنهم، فهم العيون التي بها يرى، والأذان التي بها يسمع، والأوامر بهم تنفذ، ولن يكونوا على قدر واحد من الثقافة أو الموهبة، بل لا بد من التفاوت خاصة وأن منهم من يصل إلى المراتب العليا بالحفظ لا بالعقول "تقف نفسك قبل صحبة الملوك، ولا تنتظرن إلى من نال الحظ بالسخف عندهم"^(١).

ويختار السلطان حاشيته وبطانته من ذوي الخبرات والكفاءة فهم أصحاب مواهب قبل أن يكونوا أصحاب مراتب.

إن خير الأصدقاء هم الأدباء الذين يختارهم إحساساً منه بالمسؤولية نحو دولته وشعبه وهم الأقدر على النهوض بأمور الدولة، وعملية الاختيار تخضع لأسس ومعايير وغالباً ما تكون عقلية، وقد تكون مثل هذه البطانة ذات تأثير سلبي أو إيجابي على السلطان أو من يقوم مقامه بحسب طبيعة اختيارها، فأحق الناس بالسلطان أهل المعرفة، وأحقهم بالتدبير العلماء، والعقل كامن، ولا بد من الثقافة حتى يستطيع الوصول إلى حكم صحيح بعيد عن الهوى، والدين الذي يطلب أن يحوط الدولة، هو إيمان بأن العقل هو الحكم لا الهوى، وأن العدل أساس الحكم لا الرغبات والأهواء، فتكون بذلك الدولة تخضع لضوابط دينية وخلقية إضافة إلى معايير ومقاييس عقلية ولن تكون الدولة والحاشية دون ضوابط.

والفلسفة والدين من شروط الجاحظ لأن من يصلح للرياسة "يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة"^(٢) وهذه الشروط من شروط المتكلم، والدين من شروط الريحاني لإصلاح الراعي والرعية.

المحافظة على الأمن:-

أمن الشعوب من أمن الدولة، والمحافظة على أمن الدولة هو المحافظة على أسرارها، وأسرار رعاياها، لأن أسرار الدولة ليست كأسرار الأفراد في خطورتها وشمولها، والنتائج الخطيرة المترتبة عليها، فإذا كانت أسرار الأفراد مما يحافظ عليها، فالأولى المحافظة على أسرار الدول ولا شيء أضر بأسرار الدول ممن يبيعون ضمائرهم من أجل مصالحهم الذاتية والنفعية وإن كانت على حساب دولهم وشعوبهم.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٦٢.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ، الحيوان، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٣/٢. وانظر الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق ودراسة انعام فوال، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

واحترام السلطان أو الراعي من احترام دولته ويحترم في غيابه كما يحترم في مشهده، وإن لم يكن ذلك فإن له عيونا تخبره بأوزارك. "غيبة السلطان لا تقل فيها ما لا تقوله بحضرته فإن مغيبه يحترم كما يحترم مشهده، ومع ذلك لا تأمن عيونا له فترفع إليه أخبارك وتظهر له أسرارك، وتعلمه كأنك تتعلم منه، وتصبر على صحبتته وغضبه، ولا تكلفه الشكر وإن لم تطق ذلك وإلا فالبعد أولى"^(١)، وليس من المروءة أن تخفي عنه عيبا، أو تزين له قبيحا، فإنما الملوك تحتجب لهيبتها، ويحفظ سره، ويحذر قربه، وتحفظ أمانته، ويقدم له النصيح.

ابن المقفع	الريحاني
... فإن كنت حافظا أن بلوك، جلدًا إن قريوك، أمينا إن إيتمنوك، تعلمهم وأنت تريهم أنك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنهم يؤدبونك، شكرهم ولا تكلفهم الشكر، بصيرا بأهوائهم، مؤثرا لمنافعهم، ذليلا إن ظلموك، راضيا إن أسخطوك، وإلا فالبعد عنهم كل البعد، والحنز منهم كل الحنز ^(٢) .	كن للسلطان حافظا إن ولاك، حنزا إن قريك، أمينا إن إيتمنك تعلمه كأنك تتعلم منه، وتشكر له ولا تكلفه الشكر، صابرا إن آذاك، ذليلا إن ضامك، راضيا إن أسخطك، وليكن قريك منه على هذا وإلا فالبعد منه كل البعد ^(٣) .

وهذا لم يكن إلا جزءا من كلام كثير قاله الريحاني وذكرت ذلك لإثبات تأثره بآراء ابن المقفع. حسن السياسة :- هو تقديم الأثر الحسن للرعية، وأداء الأمانة، والإنصاف في اختيار الولاه والعمال لا بحسب ترفلهم، وإنما بكفاءتهم وعدالتهم في تقديم المصلحة العامة على الخاصة، والكف عن المطامع الشخصية. وفي إصلاح النفس أولى من إفسادها، وأولى من إصلاح الآخرين، لأن إصلاحها لا يضر معه فساد الآخرين، وفسادها لا يؤثر فيه صلاحهم، ومجالسة أهل الفضل، ومجانبة أهل الفحش من سبل الإصلاح، والإساءة لا ترد بالإساءة بل بالإحسان، والقبیح لا يقابل إلا بالجميل، ولا يسمع للساعي بين الناس بالنميمة وإن صح كلامه، فالصفح عن المسيء أولى من عقوبته، ونصح الصديق تأديب في حين إخبار العدو تعييب، فإن قبلت النصيح فنفخ ذلك عائد إليك، وإن لم تقبله لم يضره شيء، والعدو لا يسدي نصحا، وإنما يغتتم فرصا. ومن حسن السياسة معاشره الناس باللطف والرحمة، وليس بالغلظة فإنها تؤدي إلى البغضة، والإحسان إلى الضعفاء، لأن إيقاع الظلم عليهم تعبير عن لؤم النفوس، وشرار الناس من خافه البريء، والسلطان الذي تخافه الرعية خير من سلطان يخافها، لأن الميل مع الراعي على الرعية هلاك الدنيا والميل مع الرعية على الراعي هلاك الآخرة.

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ١٩٥.

^(٢) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ٦٢.

وانظر تحقيق ودراسة إتيام فوال للمصدر نفسه، ص ٨٦.

^(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٢١٧. وأنظر ١٢٣، ١٤٠، ١٥٥، ٢٠٣، ٣٠١.

"لا تعاشرن الناس بالغلظة فإنها تدعو إلى البغضة، والزم التواضع فإنه سيما الأبرار ولا تكن عنايتك باليوم دون غد فإليه تصير، ولا تظلموا الضعفاء فتكونوا من لئام الناس"^(١).

من أقوال ابن المقفع	من أقوال الريحاني
إن ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعيته، فاعلم أنك قد خيرت بين خلتين ليس منهما خيار: إما الميل مع الوالي على الرعية، وهذا هلاك الدين، وإما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب ^(٢) .	صحبة الوالي الذي لا يريد صلاح رعيته أنت فيها مخير بين أمرين: إما الميل مع الرعية عليه، وهذا هلاك الدنيا، وإما الميل معه عليهم وهذا هلاك الآخرة ^(٣) .

* الحرب :

لم يدع للحرب إلا إذا كان مفروضة، فإنها ليست السبيل الذي يؤمن به، فالخسارة غير مأمونة ويدعو للتفاهم والحوار والاقناع بالحجة وحسن التصرف، وربما من يدعو للحرب يكون وقودا لها، ويسبق الحرب مراحل كال دعوة للتفاهم، والتحكيم. "لا تبارز عدوك وإن طلب مبارزتك فإن الهزيمة غير مأمونة ولا تلق قتال السبع بنفسك فإنك إن قتلته قتلت كلبا، وإن قتلتك نسبت إلى الجهل"^(٤).

فهو يقلل من شأن النصر والفوز على العدو ويجعله كالحيوان المفترس، فإن قتل هذا الحيوان فقد قتل كلبا، وليس سبعا وإن بارز العدو فلا يأمن فوزه عليه فيصاب باليأس، والحرب سجال وهي آخر الدواء لا أوله، ولا يلجأ للسيف إذا اغنت العصا "لا تقاثلن أحدا تجد من قتاله بدا، إن الجمعان لمن غلب، ولن يعلم الغالب إلا بالغلب وإن آخر الدواء الكي فلا تجعله أوله،

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٨.

^(٢) ابن المقفع، عبد الله، الأديب الكبير والأديب الصغير، مصدر سابق، ص ٣٩.

^(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٥٣. وانظر ١٢٠، ٢٥٦.

^(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

فرب رحي حربٍ قد طحنت مُرَّجِيها^(١).

"ولا تعملنَّ سيفك فيما تكتفي فيه بالسوط، ولا سوطك فيما تكتفي فيه بالحبس، ولا تُسرعنَّ إلى حبس من يكفي فيه الوعيد؛ فإن العقوبة يجب أن تكون بقدر الذنب"^(٢).

فلا يقبل أن يكون البادي بشن الحرب؛ لأن هذا عدوان غير مبرر، ولا يدعو إليها وإنما يبحث عن خيارات ووسائل لرد الكيد والغدر على أن تكون العقوبة بقدر الذنب، ولا يتجاوز الحد في الرد أو القصاص من الأعداء، "فإن عاقبتُم فعاقبوا يمثل ما عوقبتم به"^(٣)، لأن في الصلح دعة للناس، وأمنًا للبلاد، وراحة من الهموم.

الإمام علي كرم الله وجهه	الريحاني
قال لابنه الحسن : " لا تدعون إلى مبارزة، وإن دُعيت إليها فأجب فإن الداعي باغٍ، والباغي مصروع" ^(٤) .	لا تبارزْ عدوكَ وإن طلبَ مبارزَتِكَ؛ فإن الهزيمة غيرُ مامونة، ولا تلقَ قتالَ السبع بنفسك فإنَّك إن قتلته قتلته كلباً، وإن قتلَكَ نُسبتَ إلى الجهل" ^(٥) .

العلاقة بالسلطان :

القرب من السلطان وأصحاب النفوذ يشبه القرب من الأسد؛ لأن من يراه يكون أشد هيبة له وهو أشد خوفاً ممن يراه، وقد تُنقذ رغباته وترى لك رأياً، غيره لكن لا تستطيع أن تعلن رأيك أو مخالفة رأيه، وهو كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف.
وإذا ما غضب على أحد فالبعد عن المغضوب عليه كل البعد خوفاً من الشبهة، أو أن تُؤخذ بجريرتة، ولا تحاول الشفاعة له إلا إذا علم مبادعتك للمشبوه وإنكارك لفعله، ولا تظهر له عذراً، ولا تنتهي على عمل أتى به. "جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان، ولا يجمعنَّك وإياه مجلس ولا منزل، ولا تظهرنَّ له عذراً، ولا تنتهي عليه خيراً عند أحد من الناس، فإذا رأيت سخطه عليه قد تناهى وقد بلغ من الاعتبار ما ترجو له عطفه عليه، وكان قد علم مُباعدتِك إياه وشدتك

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٩٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٢.

(٣) النحل آية ١٢٦.

(٤) عبده محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ٥٢/٤.

وانظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصدر سابق، ص ١٩/٦.

(٥) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٨٧.

عليه فضع عُذْرَه عنده، واعمل في استجلاب رضاه عنه بلطف ورفق^(١).

فلا تظهر رأياً يخالف رأيه، ولا تلتمس عذراً لمن خرج عن طاعته، والبعد عن الخارج عليه كل البعد خوفاً من الشبهة، ولا تبدي إعراضاً لما تكرهه من تصرفاته، وتعلمه كأنك تتعلم منه، وإذا ما بادر لمعرفة رأيك فلا تصرح بذلك، وإذا لم تسأل فلا تكن المجيب "إذا سأل السلطان غيرك فلا تكن أنت المجيب؛ فإن ذلك خفة واستخفاف بالسائل والمسؤول"^(٢).

ابن المقفع	الريحاني
جانب المسخوط عليه والظنين به عند السلطان، ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل، ولا تُظهرنَّ له عذراً، ولا تُثنيَنَّ عليه خيراً عند أحد من الناس.	جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان، ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل، ولا تُظهرنَّ له عذراً، ولا تُثنيَنَّ عليه خيراً عند أحد من الناس، فإذا رأيت سخطه عليه قد تناهى وقد بلغ من الاعتبار ما ترجو له عطفه عليه، وكان قد علم مبادئك إياه وشدتك عليه فضع عُذْرَه عنده، واعمل في استجلاب رضاه عنه بلطف ورفق ^(٣) .
فإذا رأيتَه قد بلغ من الاعتبار مما سخط عليه فيه ما ترجو أن تلين به قلبَ الوالي واستيقنتَ أن الوالي قد استيقن بمبادئك إياه وشدتك عليه عند الناس فضع عُذْرَه عند الوالي واعمل في إرضائه عنه في رفق ولطف ^(٤) .	إذا سأل السلطان غيرك فلا تُكن أنت المجيب، فإن ذلك خفة واستخفاف بالسائل والمسؤول ^(٥) .
إذا سأل الوالي غيرك فلا تكوننَّ أنت المجيب عنه، فإن استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول وبالسائل ^(٦) .	

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٥) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٧٤.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٤.

الموضوعات الاقتصادية :-

لم يكن الريحاني مثاليا سلبيا في معالجة الأخلاق الاجتماعية، بل ربط هذه المثالية بالحياة الاجتماعية والأدبية والاقتصادية، وكان في هذا واقعا فكان شموليا في نظرته، موسوعيا في ثقافته وعلمه، فكان حديثه عن كسب المال وطرقه وإنفاقه في وجهه وعدم الإسراف فيه .

أهمية المال:- فالمال عصب الحياة وبه يمكن التغلب على مصاعب الحياة، فطلبه بلا

طمع، وإنفاقه في وجوهه المشروعة:- كالإنفاق على النفس والعيال، وفي عمل الخير، وبر الوالدين، وخيره ما اعتظت به، وشره ما أكسبك ذما، " مالك ما قدمت، ومال غيرك ما تركت"^(١) .

فلا تكن للمال عبدا وأنت السيد له، ولا تجعل غيرك يسعد بما شقيت به، فصاحب المال يترك ماله لأحد اثنين:- لمن ينقه في وجهه فيكون له خيره، وإما لمن ينفقه في الآثام فتكون قد أعنته على ذلك وعليه وزره، فإما أن يسعد بما شقيت به، وإما أن تكون قد أعنته على الآثام. وإذا ضيعت مالك بسوء تصرفك، أو كنزته بسبب بخلك فأنت كمن ضيع ماله، وأصلح مال غيره، ولن تسع الناس بمالك. فإذا أنفقتة فاحصص به أهل الحق من أهل الكرم، فإن بذله لهم يكسبك حمدا، وبمنعه عنهم يلتزمون لك عزرا.

وما أكثر من يحدث على البذل! وما أقل من يبذل!، ويمكن أن تكون أهميته بطلبه من حلال، وإنفاقه في نوال، وبذله باعتدال.

فكسب المال يكون بالطرق المشروعة والعمل المشروع، والإنفاق يكون في نوال الخير والأجر من الله سبحانه، والثناء من الناس، فيكون إنفاقه سرا خوفا من الرياء، ويكون جهرا للاقتداء. وإنفاقه يكون باعتدال من غير إسراف؛ لأن سبيل المال إلى زوال، وقد تحتاج إليه في ظروف يعسر عليك توفيره. " يجب على المرء أن يكون أصل كسبه طيبا، فإذا سلم له كسبه، فينبغي أن يؤدي الحقوق الواجبة عليه في ماله، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر"^(٢) .

حسن التخطيط:

وسيلة هادفة لتحقيق الأهداف وإدارة الموارد سواء بشرية أم اقتصادية بأيسر الوسائل والسبل، وبأقل التكاليف والجهد والوقت والمال، ووضع البرامج، ومراعاة المتغيرات الوقائية والعلاجية،

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق، ص ٢٥١.

^(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠١، وانظر ٣٢، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥١.

والرقابة على التخطيط ليس الهدف منها تسجيل الأخطاء والإيقاع بالآخرين بقدر ما هو توجيه وتجاوز الانحرافات.

فالعشوائية وعدم التخطيط سبيل الفشل، والإعداد وحسن التخطيط من مقومات النجاح، وقد يسعى الإنسان لإدراك حاجة في غير أوانها فيتعذر عليه، وقد لا يسعى إليها إلا في الوقت الذي يحتاج إليها، ومن سعى إليها عند ذلك فانتته. "ومن لم ينظر في حاجته إلا في الوقت الذي يحتاج إليها فيه فقد فانتته"^(١).

فالأعمال تحتاج إلى تخطيط ودرس ولا سبيل لإنجازها إذا تراكمت، ولا نجاح عند القيام بها، فالأبدان تكل كما تكل القلوب، ويمكن اغتنام فرصة إقبالها وراحتها، فإذا ما توزع جهد الإنسان وانشغل بأمور أو تراكمت عليه الأعمال أصابه الضجر والملل، "ثبت جأشك إذا تراكمت عليك الأعمال ولا تلتمس الروح منها بمدافعتها"^(٢). كما أن الإعداد والتجهز للعدو قبل أن يظهر منك ذلك هو من حسن التخطيط، "لا ينفعل أن تخبره أنه لك عدو فتتذره بنفسك وتؤذنه بحربك قبل الإعداد والفرصة فتحمله على التسليح، وتوقد ناره عليك"^(٣).

الإمام علي كرم الله وجهه	ابن المقفع	الريحاني
إذا هبت أمراً فقع فيه؛ فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه ^(٤) .	إذا تراكمت عليك الأعمال، فلا تلتمس الروح في مدافعتها بالروغان منها؛ فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها، وإن الصبر عليها هو الذي يخففها عنك، والضجر هو الذي يراكمها عليك ^(٥)	ثبت جأشك إذا تراكمت الأعمال، ولا تلتمس الروح منها بمدافعتها يوماً بيوم؛ فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها، وإن الصبر عليها هو تخفيفها عنك، والضجر منها هو تراكمها عليك.... ^(٦)

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣١.

(٤) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق ٤/٤٢.

(٥) ابن المقفع، عبد الله، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق ص ١٠٣.

(٦) ورد في هامش (٣) ص ٨١.

الاقتصاد والاعتدال :-

هو سبيل الحياة الكريمة، فلا يكون في شيء إلا كان معه الخير والرضا، ولا يخلو منه شيء إلا كان معه الهلاك، فهو مطلوب في كل أمور الحياة، في طلب الرزق وفي العبادة، وفي الغنى والفقر، وفيه حسن التدبير. وفي سوءه سبب التدمير فإذا ما تجاوز الاعتدال في طلب الرزق، صار إلى الطمع، وإذا ما تجاوزه في العبادة، صار إلى التقصير، وإذا ما تجاوزه في الفقر صار إلى الذل.

ولا يعني ذلك التواكل والكسل، بل الاجتهاد والعمل؛ لأن " حرفة يُقال فيها، خير من مسألة الناس".^(١)، وهو محمود العواقب في كل أموره في الحب والكره، في التقدير والتبذير، وفي الجوع والشبع، وكل شيء إذا تجاوز الحد نقص، وقد أخذ أمثلة من الواقع ليدل على صدق ما يريده، ولعل قصص ابن المقفع والتي غالباً ما تنتهي بعبرة، كانت هي المادة التي تربط الواقع بالخيال، أو الجانب النظري بالجانب العملي، " ثلاثة خصال مُبلغة إلى طريق الخير والسلامة: - أن تاكلَ دون شُبْعك، وتنام أقلَّ ليلك، ولا تأخذ من أحد شسعاً إلا بالثمن "^(٢).

وفي كل موضوع كان يحث عليه -كالوسطية والاعتدال- من سماحة الإسلام ولم يأت به من تلقاء نفسه بل تأثراً واقتداءً بالنهج الإسلامي " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً "^(٣). وهذا ما يؤمن به وحتى يقنع من يعظه يأتي بدليل أو برهان من الواقع ليثبت ذلك، " عليك بالاقتصاد في كلِّ الأمور فإنه ليس شيء أبين نفعاً، ولا أحصر أمداً، ولا أجمع فضلاً من القصد، والقصدُ دعامةُ الرشْد، وحُصْنٌ من الذنوب "^(٤).

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٣) الإسراء: ٢٩.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٧٩.

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لنثر الريحاني

لقد كانت الخصائص الفنية لأسلوب الكاتب امتداداً لأساليب كتاب عصره، وعصر من سبقه كالإمام علي كرم الله وجهه، وعبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، وغيرهم، مع ما أدخله الكتاب من أثر الثقافات المجاورة، وكان التأثر بالثقافة العربية والإسلامية واضحاً من حيث المعاني الإسلامية والصياغة، كما كانت الاتجاهات الفكرية غير بعيدة عنه، ويبدو أثرها واضحاً في مناظرات المعتزلة والجدل والمنطق، وقد كان واحداً من بطانة المأمون، كثمالة بن أشرس، ويحيى بن أكتم، اللذين أقنعا المأمون باعتناق الاعتزال^(١) في حين كان هو من خاصة جلسائه^(٢). ويمكن أن نجل الخصائص الفنية بعد دراسة مستفيضة لحكمه وأقواله، وما طرأ على أساليبه من تجديد وإبداع مع التمثيل ما أمكن من نثره، وما تميز به، ويكاد يكون أسلوبه محاكاة لسابقيه مع إضافة ما تميز به أو انفرد من خصائص.

فكان يعتمد على وحدة الجملة لا وحدة الموضوع تأثراً بابن المقفع وتتميز أسلوبه بالسهولة والوضوح ليلئم أسلوب الواعظ الناصح، الذي يخاطب العامة والخاصة، فلا نجد التعقيد والتكلف والغريب في لغته.

وهذا ما دعا إليه وانتهجه ابن المقفع حين قال: "إياك والتتبع لوحشي" الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإنّ ذلك هو العيُّ الأكبر، وعليك بما سهل من الألفاظ، مع التجنب لألفاظ السفلة"^(٣).

وتابعه تنظيراً بشر بن المعتمر في صحيفته البلاغية التي تعد أول تنظير نقدي وبلاغي مدون تقف من ورائه رؤية فكرية اعتزالية.

وسئل ابن المقفع ما البلاغة؟ فقال: التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها^(٤).

فأسلوبه يقوم على التوسط بين لغة الخاصة وما يكون فيها من إغراب، أو انحراف، أو انزياح، ولغة العامة وما يكون فيها من ابتذال، فما يمتاز به أسلوب عباسي مولد يلائم بين حاجات عصره الثقافية، وبين مقومات العربية وأصولها اللغوية والنحوية.

(١) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، مصدر سابق، ص ١٧٢.

(٢) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ص ١٨.

(٣) المرتضى، علي بن الحسين المسوي العلوي، ت ٤٣٦هـ، أمالي المرتضى "غرر الفرائد ودرر القلائد"، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ١/١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ١/١٣٤.

وانظر حمزة، عبد اللطيف، ابن المقفع، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م، ص ١٣٣.

وأسلوبه يقوم على السهولة والوضوح مع الجزالة والرصانة ويعمد فيه إلى الإيجاز، فالمعاني تؤدي بأقل الألفاظ. (١) دون أن تقصر عنها أو تطول، وعدل في أحيان كثيرة عن السجع إلى التكرار، والموازنة، والترادف الصوتي، فهو يعنى بالفاظه ومعانيه دون أن يجور أحدهما على الآخر.

وتحت مضامينه على المثالية في الأخلاق والسلوك، كما تحت على المثالية في التعبير والأساليب، فلا يجنح للمبالغات، ويعرف أقدار من يخاطبهم، والوقت المناسب لخطابهم، فيخاطب المستمعين طلباً للتأثير فيهم، فخير الكلام ما سبق معناه لفظه "لا يكون الكلام بليغاً حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك" (٢) ولا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه (٣) أو كان صادراً من قلبه ليعمل به الآخرون قبل أن يعمل به هو. وتنتمي هذه الرؤية إلى وقت مبكر.

فالمواعظ والشرائع تخاطب عامة الناس وخاصتهم بأسلوب بسيط مفهوم، في حين الكتابة الأدبية لا تميل فقط إلى توصيل الفكرة، بل الارتقاء بالمتأدب والسمو بعواطفه وعقله ليدرك دلالات الألفاظ لا ظاهرها. "إذ ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" (٤).

فكما أن الناس طبقات فكذا ما يناسبهم من ألفاظ ومعان لا يكون بمستوى واحد، لأن لغة العقل مقنعة، ولغة الفن مؤثرة وخيرهما ما جمع بين الاثنين.

(فألة البلاغة تخير اللفظ فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق) (٥).

ويلجأ كثير من الكتاب إلى أساليب متعددة، أو ينوع في الأساليب استجابة لذوق المتلقي وعدم يأسه أو شعوره بالملل كما فعل كاتبنا بالالتفات والخبر والإنشاء.

* التأثير بأسلوب القرآن الكريم:

لقد تأثر الريحاني بألفاظ القرآن ومعانيه فمناه اقتباس ومنه تضمين، وجاء أسلوب الخطاب القرآني والحديث النبوي مطابقاً لمقتضى الحال والمقام، ولعل هذا المقتضى جاء منهما، ولا

(١) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ١٢٥/١
وانظر المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط ٤، دار العلم للملايين، ص ١٣٩-١٤٩.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ١١٥/١.

(٣) المصدر نفسه، ١١٥/١.

(٤) المصدر نفسه ١٣٩/١.

(٥) المصدر نفسه، ٩٢/١.

نستطيع حصر ما ورد في القرآن من مطابقة الكلام للحال والمستمعين إلا ما نجد من إيجاز في المكي وإطناب في المدني، فالحال في بداية الدعوة الإسلامية وطبيعة المخطابين ونفسياتهم تتطلب التدرج وجمال الإيقاع، والقصر والإيجاز، والتوازن بين العبارات تشويقاً لهم وتأثيراً في نفوسهم سيما أنهم لا عهد له بهذه الأساليب ولا يزالون متأثرين بإيقاع الشعر وأوزانه. من تأثره الواضح بالإسلام ومعانيه، فقد حث على العدل والشورى والشكر، العدل بين الناس، والعدل في الرضا والغضب، والخوف من الله في السر والعلانية، فالخوف من الله اجتناب ما نهى عنه، والشكر لله دوام النعمة واستمرارها، ولا يكون شاكراً إلا بشكره الله وشكر فضل الناس.

ولعل الريحاني قد تأثر بأساليب القرآن الكريم من حيث الإيجاز، وقصر العبارات، وتناسب الفواصل، وهذه الأساليب كانت تأتي عن طريق المقابلة، وأحياناً تنتهي بالسجع، لكن هذا لم يكن متكلفاً، ولم تأت هذه الأساليب على حساب المعاني، "ذكر الله خير الأعمال فلا تتركه على جميع الأحوال، فإنه يقصر الآمال، ويسدد في كل الأحوال"^(١)

فالعبارات متوازنة والازدواج بين الجمل واضح، والموعظة قدمت بأسلوب يخلو من التعقيد بل بأسلوب الجزالة والرصانة فليس فيه ابتذال أو ركافة، وقد انتهت هذه الجمل بالسجع، الأعمال-الأحوال-الآمال-الأحوال، وظهر التكرار في الجملة الثانية والرابعة. فبعض العبارات لا تنتهي بالسجع، وإنما تعتمد على أسلوب التقابل، وأكثر ما يرد التقابل بين الصورة الإيجابية والسلبية، ولكن يصاغ بعبارات مزدوجة واضحة قصيرة، يفهمها عامة الناس وخاصتهم، وربما كان النجاح في عرض حكمه ومواعظه سبباً في حفظها، وصدرها يظهر عجزها، وربما يكمل العبارة بالفاظ يتوقعها من حيث المعنى، ولكن قد لا يستطيع أن يتقن صياغتها، فالكاتب يضع اللفظ مواضعه، ونتيجة تمكنه من البلاغة واللغة، فالعبارة قد تنتهي بإيقاع موسيقي جميل، أحياناً ينتهي بالسجع وأحياناً ينتهي بالموازنة والازدواج. "ذل في طاعة

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١١٠.

الله، خيرٌ من عزٍّ ونعمة في معصية الله، وتواضعٌ لله في الدنيا، يرفعك في الدنيا والآخرة^(١).
فإن اعتنى بالألفاظ فكانت عنايته بالمعنى أكثر، فالذل يقابله العز، والطاعة تقابلها المعصية، والدنيا تقابلها الآخرة، والتواضع تقابله الرفعة. فالمعاني يخاطب بها العقل، والألفاظ الموزونة والسجع والازدواج تطرق الأسماع وتؤثر في القلوب بفضل عذوبتها وموسيقاها. والمعاني مقنعة للعقل بفضل تقابل الجمل والعبارات، وأحياناً ترسم بالصور التي تقرب المعاني للمخاطبين.
كان القرآن بإعجازه في معانيه ونظمه ملهماً لأبناء العربية، فهو المعين الذي استقى من نبعه كل بليغ، وفي أساليبه يتمثل التناسق بين الفواصل، والمقابلة والازدواج والموازنة، ويظهر ذلك في قوله تعالى: "خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار"^(٢) فالسجع واضح وتناسق الفواصل بين فخار ونار، وبين الإنسان والجان فالسجع والتقابل يمكن أن يلمح في أكثر من موقع، وكان للقرآن كبير الأثر في جعل الأدباء يحاكون القرآن في معانيه وأسلوبه.
*** التأثير بأسلوب الحديث الشريف:**

كان التأثير واضحاً في ألفاظ الحديث ومعانيه، وربما ورد الحديث بمعانيه وألفاظه في حكم الريحاني ومواعظه.

فالجمل متوازنة، والتقابل واضح في العبارات: فضلاً عن ذلك فقد تأثر بالطريقة العددية التي برزت في الأحاديث الشريفة كقوله عليه السلام "آيات المنافق ثلاث"^(٣)، ولا يقتصر في الأعداد على رقم معين فقد ذكر اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وحتى اثني عشر، ولا نذكر إلا بعض ما يدل على ذلك. "ثلاث خصال مبلغة إلى طريق الخير والسلامة: أن تأكل دون شبعك، وتنام أقلَّ ليلك، ولا تأخذ من أحد شسعاً إلا بالثمن"^(٤).

وتكاد تكون هذه العبارات نصائح طيبة يعمل بها من أراد السلامة والخير، ودفع عن نفسه الأذى ونال السلامة في بدنه وجسمه ومروءته. وأما العدد أربعة فقد ذكر في الخصال التي تتولد منها المحبة "خصال أربعة تتولد منها المحبة: حسنُ البشر، وبذلُ البر، وقصدُ الوفاق، وتركُ النفاق"^(٥).
فالسجع واضح بين البشر، والبر، والوفاق والنفاق، والجمل متوازنة فالعبارة تتكون من لفظين متقابلين مسجوعين، وكل جملتين متوازنتان، والمعنى واضح في هذا التقسيم، وكان كثير يعيد الطريقة العددية إلى التأثير بالمنطق اليوناني.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١١١.

(٢) الرحمن: الأيتان ١٤-١٥.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، مصدر سابق، ص ١٩.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٦٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٨.

ومن التأثر بالحديث الشريف التصوير وكثرة التشبيهات، والربط بين الجانب المعنوي والجانب المادي ربط بين الواقع والمثال، بين الصور الإيجابية والسلبية، فالتشبيهات، تقرب المعاني وتكثر من التقابل بين الصور، وأسلوب الحديث كان أبلغ فقد يكون في التشبيه أكثر من طرف "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير....."^(١)

فصاحب المسك تتبناح منه، وتجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير يحرق ثيابك وتجد منه ريحا خبيثة، وربما أخذ صورة الصديق الصالح، والصديق السوء فرسم عدة صور لكل واحد لكن في تشبيهات مستقلة. فصديق السوء كالحية على قارعة الطريق لا يسلم من أذاها أحد، وهو كالنار تحرقك إن اقتربت منها وتؤذيك بدخانها إذا ابتعدت عنها. وهو كالمسكة خفيف محلها طيب نشرها، إن احتفظ بها سره نشرها، وإن احتاج لانفاقها أغناه ثمنها^(٢)

فالصور والتشبيهات لا تختلف في أركانها عما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وربما وظف البيئة في تشبيهاته، ولم نذكر النصوص خوفا من التكرار فقد وردت هذه النصوص في جمال تصويره، فالحية تؤذي، والنار تحرق، ولا ينفع الإصلاح في صديق السوء، فضرره لا يقتصر على القرب

منه، فقد ينال من كان بعيدا، ولا ينفع مع صديق السوء الإصلاح وإن بذلت له نفسك ومالك. فجعل رفيق السوء كالكوز من الفخار لا يرقع ولا يشعب ولا يعاد طينا^(٣).

وأحاديث الرسول تميل إلى الإيجاز والقصر، فالمعاني أكثر من الألفاظ إضافة إلى ذلك ففيها الموعظة والعبرة والتعذيب الأخلاقي فتتنوع معانيها وتنوع أساليبها فقد يكون الأسلوب خبريا أو إنشائيا.

وتأثر الريحاني بأسلوب الحديث الشريف المتمثل بالإيجاز والتكثيف، والتنوع في الأساليب والموضوعات "سأهل إذا اشتريت أو بعت فإن العسر من سوء الأخلاق"^(٤).

الإيجاز:

من صفات المتكلمين، وهو أن تكون الألفاظ بقدر المعاني، وتمتاز بالتكثيف والتركيز والدقة، وهذا ما يبدو في حكمه ومواعظه، وربما بلغ في إيجازه ما لم يبلغه غيره في إطنابه

(١) الحديث ورد في هامش (١) ص ٥٢.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

وإطالته. وكان يقال في ثمامة وهو أحد المتكلمين "كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه، وكان لفظه في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك".^(١)

وكان في عباراته الموجزة، وجملة المتتابعة، مما يمتدح به كل أديب بارع؛ لأنه يصيب عين المعنى، ومن أصاب ذلك قيل فيه، "كان والله يضع الهناء مواضع النقب"^(٢) في حين قال الأصمعي: "البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر"^(٣) ولا يعني القصر، وإنما الإيجاز في غير عجز، والإطالة من غير إملال، وحذف فضول الكلام.

فالبلاغة الإيجاز، ودقة في اختيار الألفاظ، وحسن التأليف، "زينة الأديب أربعة أشياء: عرفان وقت منطقه يتكلم فيه، والإيجاز في لفظه لئلا تستثقل منه، والإبلاغ لبغيته لئلا يخل به، والرضا من الكلام بأقل من حظه"^(٤)، "فاحسن الكلام ما أغناك قليله عن كثيره"^(٥)، لأن الدقة في التعبير، والعمق في التفكير، واختيار وقت الكلام، وحسن الاستماع زينة للمتكلم أو الأديب، فكل كلام أخطأ موضعه فالعي خير منه. فكان يمتاز بهذه الصفات ومن ضمنها الإيجاز "من لم يصلحه اللين، أصلحه التليين"^(٦).

فمثل هذه العبارة تمتاز بالإيجاز وربما كان ذلك من أثر القرآن الكريم والحديث الشريف، فضلا عن حسن الإيقاع بفضل السجع والتوازن والازدواج، مع ما فيها من مشاكلة لفظية، فاللين هو الرفق والأناة، والتليين الإكراه والإجبار مع المرونة والتدرج، فكل عبارة لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل مع الدقة والإيجاز، تكون قد أدت الهدف الذي وضعت من أجله، فكان جعفر بن يحيى

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ١/١١١.

وانظر المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق ١/١٠٧.

(٣) المصدر نفسه ١/١٠٦.

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٢١.

(٥) انظر البيان والتبيين، ١/٨٣.

(٦) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، ص ٢١٦.

يوصي كتابه "إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا"^(١).

وقد رأينا هذا الإيجاز في أسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف كما كان في التوقيعات، كالتوقيع*: "كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت"^(٢) ولا تقتصر العبارات على قلة الحروف والألفاظ، بل في دقة المعاني التي تؤديها، إضافة إلى الأساليب التي تؤدي بها، كالتوازن أو المقابلة أو السجع، وجمال الإيقاع الصوتي والموسيقي، حتى أن العبارة تحفظ لجمال صياغتها ووقوعها في القلب.

ولا يعدم كاتبنا مثل هذه العبارات التي اختارها بكل دقة وعناية، وبمهارة وإبداع من عند نفسه أولاً، وتأثراً بسابقه ثانياً، وعمق تفكيره ثالثاً، ومثال ذلك "دار ولا ثمار، وسائس ولا ثشارس، ولاين ولا ثباين"^(٣).

فالمدارة والرفق والحلم غير النفاق والخداع والممارة، والسياسة واللفظ واللين، غير الشراسة والقسوة، واللين والمودة، غير القطيعة والفراق، فالجمل متوازنة تمثل أسلوب الازدواج اعتماداً على المقابلة والسجع وتوافق الحروف في الجناس الناقص بين الفعل وجوابه.

واعتمد على المقابلة في غير موضع، وعلى السجع والازدواج، فقد يقابل البليغ في جمل تأتي متكلفة، لكن نجد التقابل في كثير من المواضع قد جاء متنسقاً مع المعاني، وكأنه يرتب فقط ألفاظاً لتخرج المعاني أكثر جمالاً من الألفاظ. "بعد يولد الصفاء، خير من قرب يورث الجفاء" بعيد منصف خير من قريب جائر"^(٤)، فالمقابلة بين الألفاظ كما هي مقابلة بين المعاني.

"البعد والقرب، يولد، يورث، الصفاء، والجفاء"، وكان هذه الألفاظ نظمت بعقد يصعب وضع بديل عن هذه المفردات لأنها قد تخرج عن موضعها، وانتهى الازدواج بين الجمل بالسجع بين الصفاء والجفاء. وكأنهما فكرة واحدة صيغت بعبارتين متشابهتين. ومثلها "لأن تحسن وتكفر،

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ١١٥/١.

(٢) الجهنياري، الوزراء والكتاب، ط ٢، مصدر سابق، ص ١٠٣.

* التوقيع: عبارة موجزة موحية يكتبها الرئيس أو الخليفة أو من يقوم مقامه في أسفل القصة أو الرقعة المعروضة عليه، تنطوي على إجابته عن الموضوع المطروح.

(٣) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

خيرٌ من أن تُسيء وتُشكر" ^(١) ، وما يقال في هذه العبارة من سجع وتوازن وازدواج هو ما سبق وأن ذكرته في العبارة السابقة.

ومثل هذا الأسلوب كان من متطلبات كتاب الدواوين، الذين أصبحت الكتابة حرفتهم، والدقة وجمال الصياغة عنوانهم، فعندما يسمع الخليفة خطاباً أو كتاباً يحمل هذه المواصفات أو الصفات الأسلوبية، ربما أثنى عليه: "كما فعل جعفر بن يحيى عندما قرأ بعض توقيعات عمرو بن مسعدة، فقال: أيُّ وزيرٍ في جلدك" ^(٢) وكان إتقان العبارة وإحكام الأسلوب عند ابن المقفع سبباً في القضاء عليه عندما كتب الأمان لعبد الله بن علي .

وكان أسلوب المتكلمين والمعتزلة يقوم على الإقناع واعتماد العقل منهجاً وهذا تأثرٌ بالحضارة اليونانية المترجمة. ويتجلى أثرها في:

(أ) الجدل والمناظرة.

(ب) حسن التعليل.

(ج) حسن التقسيم.

الجدل والمناظرة : وأول هذه المؤثرات الجدل والمنطق والمناظرات، فكان يعتمد إلى الدقة والحوار والجدل، ويعنى بآرائه وأدلته وبراهينه، ومقدماته ونتائجه، متأثراً بما لقف من منطق وفلسفة، فهو يعتمد على صحة الأدلة وصدق المقدمات، ويعرض أفكاره في صورة حجاج تقوم على براهين وأدلة ومقدمات وأقيسه، كما يقوم على التأثير ببعض آراء المتكلمين كالجاحظ الذي عرف عنه "أنه يعلمُ العقلَ أولاً والأدبَ ثانياً" ولا يكون متكلماً حتى يحسن الفلسفة كما يحسن الدين، حتى أنهم "المتكلمين" أخضعوا الشريعة ونصوصها للعقل والمنطق ^(٣) فيقول "أجمع الناسُ على أن العقلَ هو الخيرُ الأعظمُ، ولا يُدرك خيرُ الدنيا والآخرة إلا بالعقل" ^(٤)

والعقل مطبوع وهو ما أوجده الخالق في الإنسان، والمصنوع أو المكتسب وهو ما اكتسبه الإنسان، ولا سبيل إلى اكتسابه إلا بوجود المطبوع "والعقلُ نوعان: مطبوعٌ ومتعلمٌ، فالمطبوعُ

^(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٩٧ .

^(٢) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت ٦٨١ هـ ، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، ٤٧٦/٣ .

^(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق ١٤٣/٢ .

^(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢١٠ .

خلقة انفرد بها الخالق، والمتعلم فائدة يستفيد منها المتعلم، ولا سبيل إلى العقل المتعلم إلا بالعقل المطبوع، وإذا اجتمع العقلان قوي المتعلم^(١)

وإن دل هذا التقسيم فإنما يدل على مدى التأثير بالمنطق والفلسفة، وهم يعتبرون أن الأشياء بجوهرها لا بظواهرها، كما فصلوا بين الذات الإلهية وصفاتها، ولا يحسن هذا التقسيم إلا أصحاب الحذق والمهارة والدقة، الذين حاولوا أن يجعلوا الفلسفة جزءاً من حياتهم، وأخضعوا الحياة وواقعها إلى العقل لا العاطفة، حتى غلب الجدل والتعليل والمنطق على أساليبهم، "إن استطعت أن لا تخبر بشيء إلا وأنت فيه مصدق، ولا يكون تصديقك إلا بدليل فافعل، ولا تقول كما يقول الجهلاء، أخبرت بما سمعت فإن الكذب من أكثر ما سمعت"^(٢)

ويقلل من شأن العقل إذا تحدث عن القدر والرزق والأجل، لأن هذه مقدرّة لا يعلمها إلا الله، فكان الأشياء تصيب الإنسان لا هو يصيبها "كل شيء أصبته من الشهوات المؤثمة فإنك لم تصبه لكنه أصابك وأهلك به نفسك"^(٣)

فكانه يجرد الإنسان من إرادته، ولا ينفعه الحذر مما هو مكتوب عليه، فالشهووات ضد العقل، تصيبه إذا لم يخضع في تصرفه لاستشارة عقله، فاتباع الهوى مخالف للعقل، "ولا نجد العاقل يحزن من جفاء السلطان إياه، وتقريبه الجهال دونه لعلمه بأن الحظوظ ليست بحسب العقول"^(٤) فلو كانت الأزواق بحسب العقول لهلك من جهلها البهائم .

فعمق التفكير، والميل إلى الإقناع، وصحة الاستدلال، كان المنطق اليوناني من مصادره.

حسن التعليل:

قد يتبادر إلى ذهن الإنسان أن الإقناع غير التعليل، وهذا وهم، لأن الدليل والبرهان المادي والعقلي يسوغ قبول عمل أو قول ما، لأن طبيعة الظروف والاتجاهات الفكرية والمذهبية التي سادت في العصر العباسي، أملت طبيعة هذه الأساليب، وربما كان الجدل والتعليل والاحتجاج وراء أحقية الخلافة العباسية وأهم أساليبها. فهو يرفض أن يقبل الحكم دون إثبات أوحجة أو دليل. "خوف الله لا يشبهه الخوف من الناس، وقد يتساءل الإنسان كيف؟ وما الفرق؟ وتختلف الإجابات لو عرض مثل هذا القول على كثيرين. فقد يتبادر إلينا القوة التي لا يقارن فيها بين

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٣) المصدر نفسه ص ٢١١.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٩.

الخالق والمخلوق، ويجيب بأسلوب المتكلم، "لأنَّ من خافَ شيئاً هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه"^(١) ويمكن أن يكون هذا إبداعاً لم يسبق إليه غيره.

وهو أسلوب فيه البرهان والدليل وحسن التعليل، لا يستطيع أحد أن يفنده، ولا يملك إلا الاستسلام لمثل هذا الإقناع، ولو حاول وضع أمثلة توضح ذلك، ربما لا تبلغ في مستواها أو في قوتها ما بلغته هذه الكلمات القصيرة الموجزة المكثفة، واستخدم حرف الجر مع الفعل هرب منه، وهرب إليه، في إبراز المعنى، وكذلك المشاكلة فالهروب الفرار إليه، أو اللجوء إليه، وهو أسلوب يقوم على التضاد بين الفرار، أو الإدبار والإقبال، ويكاد يكون هذا الأسلوب بارزاً في عباراته ومثاله "كفى بموت الأباء شاهداً على موت الأبناء، وكفى بالنبات مخبراً عن الحصاد"^(٢).

فموت الأباء دليل على موت الأبناء، والمقدمات تقود إلى النتائج، إذا بنيت الفرضيات على أسس صحيحة، أو كان القياس على مقدمات صحيحة، والنبات مخبراً بالحصاد، فكل بداية نهاية، فالدليل والبرهان والحجة والإقناع كان للمنطق اليوناني أثر فيها، كما أنه من أساليب المتكلمين والمعتزلة، فالعقل دليله ومرشده، فالعقل يقود إلى الصواب، والهوى يقود للهلاك .

واعتمد على المقابلة وتوازن الجمل والازدواج في جمع المال وإنفاقه في تقديمه وتأخيرته، في وزره وفي خيره، وربما يحدُّ ويشقى ويتعب من أجل أن يجمع المال ليسعد به، وقد يدركه الموت فيشقى به، لأن للإنسان ما قدم من عمل وصدقه، وما خلفه فهو لورثته، وربما ينفق في غير وجهه فعلية وزره؛ لأنه كان سبباً في تحصيله وجمعه ولغيره نفعه.

والعبرة في الموعظة التي يقدمها بأسلوب تعليمي تهديبي في جملة خبرية، وقد عمد إلى التكرار في التحذير من فتنة المال والكد في تحصيله "ما تقدمه لنفسك خير" لك، وما تؤخره يورث عنك، عليك وزره، ولغيرك خيره"^(٣) .

وبصياغة أخرى، وفكرة مشابهة قال محذراً من جمع المال، " لا تُضِعْ مالك وتُصلِحْ مالَ غيرك، فإنما مالك ما قدمت، ومالُ غيرك ما تركت وراء ظهرك فإنما للمرء ما سعى"^(٤)

فكان واقعياً في أدلته، منطقياً مقنعاً في معانيه، يؤكد المعنى بعبارات متشابهة مختلفة في الصياغة، والفكرة واحدة يقدمها بقوالب لفظية متعددة، فاللغة طيّعه مرنة يقلب المعاني في وجوه متعددة، وربما كان إظهاراً لمهارته وقدرته اللغوية، وتوكيداً للمعاني التي يريدها، لتكالب الناس أو

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم مصدر سابق، ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٥ .

المخاطبين على متاع الدنيا، ولغفلتهم عن مواعظه بزوال الدنيا وفراقها بالموت.

حسن التقسيم:

أسلوبه قائم على الإقناع والتأثير على حد سواء، ولهذا وازن بينهما وقد تأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف، كما تأثر بالفلسفة والمنطق، ولم يكن ممن يجعل الكتابة الأدبية ألفاظاً ترصف، بل معاني تتسق وتتصل بالحياة والإنسان والطبيعة، فهي ذات موضوع كما أنها ذات أسلوب، ولا يعني اهتمامه بالألفاظ والتراكيب على حساب المعاني، بل يهتم بالجانبين اللفظ والمعنى، ويعنى بعصره ويمثله تمثيلاً دقيقاً فيلائم بين المؤثرات وحاجات العصر، فيحكى أخباره وحوادثه بلغتها الدقيقة، ولم يعمد للزخرفة اللفظية، فالكتابة عنده ليست زخرفاً خالصاً بل هي معان تؤدي بدقة، تفسر الواقع والأحداث، فهو يكتب لقارئه ويحاوره ويحدثه ليقنعه.

يخاطب مجتمعة وعصره بروح المنطق، وأساليب العصر، وما طرأ عليها من تجديد وتطور، فقدرته على التحليل والتعليل لا تقل عن صياغة اللفظ وتحبيره، والاتساع به ليؤدي المقصود منه.

"قلوبُ البشر ثلاثة: قلبٌ كالجبل لا تُزيّله الرياحُ العاصفة، وقلبٌ كالشجرة أسفلها ثابتٌ، والريحُ تُميلُ أعلاها، وقلبٌ كالريشة تُطير مع الريح يميناً وشمالاً" (١).

وقد ورد التقسيم في القرآن "الطلاقُ مرتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان" (٢)

وعنايته بالتقسيم كانت متأثرة بالتقافات الأخرى سواء الثقافة الإسلامية أو الثقافات الوافدة وخصوصاً اليونانية، التي نقلت للعربية عن طريق الترجمة. فهذا التقسيم وهذه المعاني لا تتأتى إلا لمنطقي صاحب خبرة وإطلاع وتجربة، يأخذ المنطق ويطوِّعه للغته ومعانيه، التي تخدم مواعظه وحكمه، قلب كالصخرة، وقلب كالريشة، وقلب بينهما يستجيب للمؤثرات أسفلها ثابت وأعلىه يخضع للمؤثرات. ويجد من هذه التقسيمات المنطقية مادته، ويولد معانيه بأخذ الأضداد، أو الجوانب الإيجابية والسلبية وما بينهما، يصرفها بعمق تفكيره لتخدم غرضه، فتكون اللغة مادة الحياة. كما أنه يحاكي واقع الحياة، والبيئة التي يعيشها، ويتأثر بالمحيط سواء في المادة، أو الأساليب الأدبية، والمزج بين روح العصر وبينته (مادة أدبه)، ومع المؤثرات الحضارية في الأساليب والصياغة والمحاكاة.

وحين يقسم الزمان يجد الحياة يوم مضى لا يدري ما الله قاض فيه، ويوم آجل لا يدري ما كتب فيه وهل يكون من أهله؟ ويومه الذي هو فيه. "زمالك ثلاثة أيام: أمس مؤدبٌ حكيم ترك فيك

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٠٣.

(٢) البقرة آية ٢٢٩.

حكمته، واليوم مودعٌ كان عنك طويلُ الغيبة أذاك ولم تأت، وهو عنك سريعُ الظعن، وغداً لا تدري
أكونُ من أهله أم لا^(١)

فالزمان: أمس، واليوم، وغداً، أطراف ثلاثة: يوم انقضى لا يمكن أن يعود ذهب بخيره
وشره، أخذت منه العبرة إن اعتبرت، واليوم الذي أنت فيه، كان بعيداً وتمنيته فكان طويل الغيبة
أذاك ولم تأت، وغداً وهو مستقبلك، لا تدري هل تبلغه أم لا! وقد يحول بينك وبينه الموت.
فيومٌ مضى، ويوم أتى، ويوم منتظر، فجاء بالمقابلة وحسن التقسيم وربما انتهى إلى السجع
في بعض العبارات، مما أضاف إليها إيقاعاً موسيقياً زاد المعنى جمالاً، لا لبس فيه ولا غموض،
معتمداً على أسلوبه التعليمي الواضح.

وقد لا يكتفي بجودة التقسيم بل التأثير بالمنطق فيعمد إلى التحليل والتعليل، وصدق
المقدمات للوصول إلى النتائج، ومن أساليبه حسن الاستدلال، والتماس البراهين والأدلة على
أفكاره، وربما على شكل تقطيعات صوتية وتعادل موسيقى.

وانتقل من التقسيم الثلاثي إلى تقسيم رباعي يقوم على الازدواج سواء في التوازن أو
السجع، وتقطيعات موسيقية وصوتية، ويبني تقسيماته على الازدواج بين الجمل والتوازن، إضافة
إلى سجع متوازن بين العبارات، وهذه الأساليب تتمثل في التقابل والتضاد بين الجمل، "أربعٌ من
علامات الكرم: بذلُ الندى، وكفُ الأذى، وتعجيلُ المثوبة، وتأخيرُ العقوبة"^(٢)

فجمع في هذه العبارات السجع بين الندى-الأذى، والمثوبة والعقوبة والمزاوجة بين كل زوج
من الجمل، وجمع المقابلة والتضاد بين البذل والكف، ندى-أذى وبين تعجيل وتأخير ومثوبة
وعقوبة. فضلاً عن المقابلة والتوازن فهناك الجرس الموسيقي وحسن الإيقاع الصوتي عند نهاية
الجمل، وفي الازدواج بين الجمل فكما أن هذه العبارات تؤثر وتطرب، فإنها تجد طريقها إلى
الإقناع والعقول.

وكلما طال الزمن الذي تنتظره الأذن في سماع العبارة نقص التلاؤم الموسيقي، وكل كلمة
تتعادل مع قرينة لها في الكلمة الأخرى وكأنها تطلبها لتعزف معها.
فكان التقسيم في العدد الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة إلى الاثني عشر وهناك

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم مصدر سابق ص ١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٦ .

من يذكر أن التقسيمات العددية لا يعرفها غير اليونان.^(١) وهذا مخالف للصواب لأن التقسيمات وردت في القرآن والحديث ويصعب حصرها وإنما ذكرت دليلاً من القرآن والحديث على سبيل المثال لا الحصر.

والتقسيم والإطالة من أجل التفصيل، والثنائيات والتضاد من حقائق الكون وتفكير يقوم على المنطق والاستدلال والقياس، يستمد ذلك من عقله وعمق تفكيره وتوليده للأفكار والمعاني. والأمثلة على التقسيمات وردت في أكثر من موضع سواء الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة ويتبع بعضها فيما بعد عند الحديث عن الألغاز والأحاجي.

* التأثير بكتاب عصره وسابقيهم:

لم يكن الريحاني إلا استمراراً لكتاب عصره وسابقيهم، فقد تأثر بموضوعاتهم وأساليبهم متأثراً بالإمام علي كرم الله وجهه، وعبد الحميد الكاتب وابن المقفع وربما أثر وتأثر بالجاحظ وغيرهم، وكان له مواقف واتصال بالمتكلمين من المعتزلة، كثمارة بن أشرس، يحيى بن أكنم، وربما يسر له هذا الاتصال بكتاب عصره قربه من الخليفة المأمون، الذي كان من خاصة جلسائه. فعبد الحميد الكاتب نال البلاغة من الإمام علي وعندما سئل ما الذي خرجك في البلاغة؟ قال: حفظت سبعين خطبة من خطيب الأصلع^(٢) وورد الرد على السؤال أيضاً في كتاب الوزراء والكتاب بقوله: "حفظُ كلامُ الأصلع يعني أمير المؤمنين علياً"^(٣)

فالكتابة الفنية كان أستاذها عبد الحميد الكاتب فهو أول من أطلال الرسائل واستعمل التحميدات حتى قيل عنه "بُدِئَتِ الكتابةُ بعبد الحميد، وانتهتْ بابن العميد"^(٤) ومن ضمن سلسلة التأثير والتأثير باب مدينة العلم لقوله عليه السلام "أنا مدينة العلم وعليّ بابها" وأكد أن الريحاني قد أخذ بعض حكم الإمام علي ومواعظه، وتأثر بها لفظاً ومضموناً، وقد أوردت جملة من الأقوال عند الحديث عن الموضوعات.

ونكتفي بمثال للتشابه بين الموضوعات لأنه سبق ذكر ذلك "دار خاطرك، ورقه قلبك، ولا تُكره ذهنك إذا ألقتَ حكمة أو وضعت شعراً ؛ فإنّ الذهنَ إذا أكره كلَّ، وإذا كلَّ وقف، ولكن إذا كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له، وبالتأخر عنه على التقدم به؛

(١) عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، مرجع سابق، ١/١٦١.

(٢) ورد في حاشية (٢) ص ٤، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، مرجع سابق، ١/٤٤.

(٣) الجهشيارى، الكتاب والوزراء، مصدر سابق، ص ٨٢.

(٤) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، ت ٤٢٩هـ، نيتمة الدهر، تحقيق مفيد محمد، ط ١، دار الكتب العلمية، ٣/١٨٣.

فإن الذهن يجم كما يجم البدن، ويصفو كما يصفو الماء"^(١). وفي هذا الموضوع نفسه وردت أقوال للإمام علي منها: "إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم"^(٢) وإن للقلوب إقبالا وإدبارا فإذا اقبلت القلوب فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض"^(٣) ويبدو التشابه واضحا، فالذهن يحتاج إلى الراحة، كما يحتاج البدن فجاءت عبارة الإمام علي قصيرة موجزة كأنه عالم بأنفس الناس، وتأثر الريحاني بالفكرة والأسلوب معتمدا على التقابل والتفصيل للفكرة فبدأ بالإخبار، وانتهى إلى الإنشاء الطلبي "فاحملوها - فابتغوا لها طرائف الحكم" في حين بدأ الريحاني بالإنشاء الطلبي كالأمر والنهي "دار-ولا تكره" ثم انتقل إلى إخبار الطلبي فأكد بأداة التوكيد "إن الذهن.." ولم يكتف بذلك بل زاد على ذلك بدقة التصوير، حين جعل الذهن كالماء يصفو ويكدر. فكانا من البلاغة في الذروة، وكان الإمام علي مشرع البلاغة وموردها، ومحط البلاغة ومولدها، وكان يقول: "نحن أمراء الكلام وفينا تشبثت عروقه وعلينا تهدلت أغصانه"^(٤) وتأثر غير الريحاني بالإمام علي حتى قال الجاحظ "ما قرع سمعي كلام بعد كلام الله وكلام رسول إلا عارضته إلا كلمات لأمير المؤمنين علي فما قدرت على معارضته"^(٥) فمن معنى كلامه ارتوى كل خطيب مصقع وعلى منواله نسج كل واعظ بليغ، فيأخذ حكمه من ثنايا خطب الإمام ويكتفي بذلك وهذه الأقوال قد ترد حكما مستقلة كما وردت عند الريحاني، وقد تنقل معنى، أو لفظا ومعنى، وربما يأخذ ما يدخل تحت غرضه أو دليله.

وتأثر بمتكلمي عصره، ولا أدل على ذلك من اعتماد أسلوب الجدل والحوار وأسلوب المناظرات واعتماد الحجة، والدليل حتى كانت هناك مواضيع مشتركة بين الكاتبين كوصف الكتاب "نعم المحدث الكتاب حاضر الفائدة، مأمون الغائلة، لا مؤونة عليك منه، ولا شغل لقلبك منه"^(٦) والموسيقى والتوازن، ومعادلة الألفاظ، وقصر الجمل، وتكرار العطف أساسية في جواهر عبارتيهما، فكل جملة تقابل أختها في موازين موسيقية، ويمكن أن يسمى ازدواجا أو إيقاعا

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٨.

(٢) الإمام علي، نهج البلاغة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط ٤، ص ١٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٤) ورد في حاشية (٥) ص ٤، وانظر عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، مصدر سابق، ٩٥/١.

(٥) المصدر نفسه ٩٦/١.

(٦) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٢٦٠.

موسيقيا، أو تلوينا صوتيا أساسه التكرار والترادف^(١)، ومن الصور والتشبيهات التي وردت متطابقة بين ابن المقفع والريحاني دقة الملاحظة، وجمال التصوير لصورة النسر وقد يكون رمزا ومثالا للضخامة والقوة. إلا أن المنظر غير المخبر، فهو وإن كان بهذا الوصف فهو لا يأكل إلا الميتة أو الجيف، فقد لا يعني ظاهر اللفظ وقد يحمل دلالات ومعاني تعبر عن عمق تفكيره، أو رمزا للبيئة العربية وما فيها من تناقضات وشكليات تخلو من المضمون أو الجوهر "كن كالنسر حوله الجيف، ولا تكن كالجيف حولها النسر"^(٢)

فالتنائية الضدية بين القوة والضعف، بين النسر والجيف، بين المنظر والمخبر، بين الظاهر والباطن، بين الواقع والمثال. بين الشكل والمضمون ويصل إلى النتيجة "لا أدري لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة".^(٣)

والأمور ليست بالضعف ولا القوة، ولا الصغر ولا الكبير في الجثة، قرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء، "فالحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة"^(٤) فإذا كان ما يؤمن به ابن المقفع أن القوة في الإدارة لا في الحجم والضخامة، والقوة في الفكر والعقل لا في الجسم والحجم، وربما التقابل الذي صورته كان من واقع الحياة بين القوة والضعف وبين الإبداع والقدرة على الاستنتاج وبين التقليد والاتباع. فعقد الريحاني المقابلة بين النسر وبغاث الطير ضعيف القوة الذي يتحاشى أن يأكل ميت السمك، وما أجمل هذه العبارة! من حيث التقديم والتأخير فقدم الميت على السمك، فجعلها مفعولا به بدل أن يجعلها نعتا، ولو كانت السمك الميت لأصبحت عبارة متداولة أو مبتذلة، فأصبحت كلمة السمك مضافا إليه.

(١) الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، ٣٨/١.

(٢) المصدر نفسه ٣٣٠/٦.

(٣) ابن المقفع، كليله ودمنة، مصدر سابق، ص ١٣٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٦-١٥٢.

"تميز الرجال يقع من أفعالهم لا من مناظرهم وعظم أجسادهم، فإن النسر على عظمة لا يأكل إلا ميتاً، والبغاث من طير الماء على صغره يتحامى ميت السمك، ويختلس الحي فيغتدي به" (١).

فالقوة مع ضعف الهمة سبب الهوان والذل، كما أن القوة بدون تفكير داعية للتهور، والحلم والروية واغتنام الفرص داعية للوصول إلى الهدف، فبالحيلة يبلغ الضعيف ما لا يبلغ القوي بقوته، فيكون القوي فريسة ويكون الضعيف أكلاً لا أكلًا.

فاختار اللفظ الرصين، والعبارة القوية، ليعبر المعنى القوي، واختار اللفظ الدال المعبر حين يريد إبراز المعنى الخفي، واختار القوة التي يمثلها النسر، والضعف الذي تمثله بغاث الطير، والتقابل بين الضعف والقوة، واختار اللفظ المعبر لهذا التقابل، وهذا التشبيه الذي رسم فيه القوة بأشع صورة وتوكيد المدح بما يشبه الذم، والضعف بأجمل صورة وتوكيد الذم بما يشبه المدح، وهذا الازدواج والتقابل الذي لا ينتهي بالسجع بل جاء تعليله من البيئة والواقع، فكان ينتقل في أساليبه بين عبارة قصيرة، وأخرى متوازنة، وبين ازدواج وتقسيم.

ومن تأثره بآبن المقفع اعتماده على وحدة الجملة لا وحدة الموضوع، فالجمل مستقلة لاروابط بينها، ينتقل بين الأساليب الإنشائية والخبرية من أمر إلى نهي، ومن صورة إلى موعظة، ويمكن أن يعبر عن معنى واحد بعبارتين متشابهتين مسجوعتين أحياناً، وصولاً لإيقاع موسيقى، أو توظيفاً لعنصر جمالي كتنطيع صوتي، أو موازنة بين جملتين، كما يوظف الثنائية الضدية وهي من العناصر الجمالية البارزة في عباراته ومعانيه "ما قل وحل خير مما كثر وحرّم، وغريب ناصح خير من صديق غاش" (٢).

فقل وحل مقابلة مع كثر وحرّم، وغريب ناصح مقابلة مع صديق غاش فالطرف الأول مفضل والطرف الثاني مفضل عليه، إضافة إلى الازدواج والتوازن بين الجملتين وقد ورد كثير من التقابل والتوازن والأضداد في جملة.

فالعبارات تتلاحق متوازنة متعادلة ترضي الأذن والشعور، كما ترضي الفكر والعقول، وجودة التقسيم بالطباق والمقابلة، والصور والألوان والازدواج والترادف الموسيقي، يتيح لعباراته فنونا من الإيقاعات والموازنات الصوتية، يلذ عقلك لمعانيه، ويدق شعورك لجمال موسيقاه التزم المنطق الدقيق في تقسيم كلامه إلى أجزاء متميزة، وفقر متناسقة ويكتسب أسلوبه ضرباً من التوقيع والتعادل الصوتي، ولا تخلو بعض عباراته من الحلية اللفظية غير المقصودة "قيّدوا نعمة

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

الله بالشكر، وقيدوا العلم بالكتاب^(١) فالنعمة ترتبط بالشكر، والشكر سبب لزيادة النعمة، وقيدوا العلم بتدوينه وكتابه، فالمشكلة بين قيدوا في العبارة تعني الربط والتدوين فاستخدمت مرة في معناها الحقيقي ومرة في معناها المجازي، والأسلوب الطلبي ورد في صيغة الامر.

فلا يعد التأثر والتأثير عيباً إذا كانت القوالب اللفظية والصياغة من إبداع الكاتب وربما تفوق اللاحق على السابق في ذلك، ويعد جهلاً إذا لم يتأثر بإنتاج السابقين ويطلع على ثقافتهم.

ويعد القرآن الكريم والحديث الشريف المنهلان للذات استقى منهما الأدباء مادتهم وأساليبهم كما تأثر بمنهج وخطب الإمام علي رضي الله عنه، حتى إن معاوية بن أبي سفيان أثنى على الإمام علي لبلاغته وفصاحته وجمال أسلوبه فقال: "فو الله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره"^(٢)

وامتدحه كتاب الدواوين بقولهم "لولا كلام علي بن أبي طالب وخطبه وبلاغته ما أحسن أحد أن يكتب إلى أمير جند أو والي رعيه"^(٣) وهو الذي كتب الوحي ولازم الرسول وتلا القرآن الكريم ونهل من بلاغته.

فتأثر بسابقه ومعاصريه والبيئة التي عاش فيها إلا أنه لم يكن مقلداً فحسب بل كان مبدعاً أخذ ما يخدم غرضه وحكمه ومواعظه، وأضاف من إبداعه وتجاربه واطلاعه.

* دقة الملاحظة وجمال التصوير:

وقد كانت هذه السمة الفنية واضحة في كتاب الله العزيز توضح المعنى وتقربه للنفوس، وتوضح الدليل والبرهان بمثال من الواقع والبيئة والحياة.

وكان الأدباء يتفاضلون فيما بينهم بجمال تشبيهاتهم أو صورهم فكان في قمة الإبداع من جمع عدة تشبيهات في بيت أو نص واحد. فالتشبيه من فنون البلاغة يعتمد على دقة الملاحظة، وعلى الذوق الصافي، ويجعل الفكر ينتقل من معنى إلى آخر في يسر وسهولة، لأن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، ولهذا أجمع المتكلمون والأدباء عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، ومما يبرهن على أهميته أنه ورد في القرآن الكريم ليثبت قضايا إيمانية لها خطرهما كإثبات الوجدانية، والبعث وفساد أعمال الكفار، وجاء التشبيه في البيان النبوي من كوامن النفس البشرية، والبيئة، شارحاً وموضحاً وضارباً الأمثال لتوضح ما غمض وليكشف ما يراد توضيحه، وابتدع التشبيه لنقل الشعور وتعميقه.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٢٠٢.

(٢) عبده، محمد، نهج البلاغة، مقدمة محمد عبده في نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ص ٢٠-٧٨.

(٣) المصدر نفسه ١/٤٥-٤٦، وانظر، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ص ٤.

والتشبيه بحث عن معادل أو موازن، وهو الذي يحرك الذهن ويجمع بين المتباينات فكان التشبيه الذي اختاره الريحاني من البيئة البحرية والذي تعددت عناصره "بحرٌ عميق الدنيا، وقد هلك فيها عالمٌ كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله، والأعمال الصالحة بضاعتك التي تحملُ فيها، والحرص عليها ربك التي تسيرها، والأيام موجك التي تكون فيها، والتوكل على الله صاريها، وكتاب الله دليلها الذي يهديها، ورد النفس عن الهوى حبالها التي ترسيها، والموت ساحلها الذي إليه منتهاها الذي عليها، والآخرة أرض المتجر التي تبتغي الربح فيها، والله ملكها الذي عليها، واجعل زائدك تقواه، فإن نجوت فبرحتمه وإن هلكت فبذنوبك" (١).

فالعناصر متعددة مأخوذة من البيئة البحرية فالدنيا بحر عميق فبدأ بالتشبيه البالغ فحذف الأداة ووجه الشبه، والسفينة الإيمان، والأعمال الصالحة، البضاعة، والحرص عليها الريح التي تحركها، والأيام الموج، والتوكل على الله السارية، وكتاب الله هو الدليل، ورد النفس عن الهوى حبال المرسى، والموت الساحل، والآخرة أرض المتجر، والله الملك للحياة والسفينة، ونهاية هذه الرحلة أو التجارة سعادة أو شقاء ربح أو خسارة فإن كانت ربحاً فبتوفيق الله ورحمته، وإن كانت خسارة فبسبب الذنوب وخير الزاد هو التقوى.

لا يقتصر كاتبنا على هذا التشبيه أو هذه الصورة فقد وردت تشبيهات متعددة اذكرها دون النصوص خوفاً من التكرار وقد ركز على تصوير صديق السوء لاجتنابه؛ لأنه كان مثالياً في رسم صورته وتقديم مواعظه "فصديق السوء كالنار يؤذيك في القرب منه وفي البعد عنه بسمعته ودخانه، وهو كالحية على قارعة الطريق، وكالثوب الخلق والفخارة التي لا ترقع ولا تشعب ولا تعاد طيناً، والثوب الخلق إن رقعته من جانب تمزق من جانب آخر" (٢) ولعله وصل إلى نتيجة أن هذا اللون من الأصدقاء لا يمكن إصلاحه مهما ترفقت به، ولا يمكن الاستفادة منه مرة ثانية.

وبالمقابل صورة الصديق الصالح والعلماء والإخوان فانقل من السلب إلى الإيجاب من الصور المظلمة إلى الصور المشرقة فيعبر عن ذلك. بعبارات قصيرة موجزة، ويتناول المعادل له من البيئة التي يعيش فيها، ومن الملاحظ أنه يقدم المشبه به على المشبه فيجعل التشبيه مقلوباً وفي هذه الصور والتشبيهات يتجه إلى الصور المشرقة ليجد التضاد الذي يزيد الأمر وضوحاً، فالضد يظهر حسنه الضد.

وأسلوبه لا ينتقل مباشرة من صورة مظلمة إلى صورة مشرقة بل يميل إلى التدرج والخروج من جانب إلى الجانب الآخر. ومال إلى التجديد والإبداع في تشبيهاته لتكون غير مبتذلة

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

أو تقليدا للسابقين، ولا يميل غالبا إلى التشبيه المفرد بل يميل إلى المركب الذي يتكون من عدة عناصر.

"صدأ العقل الغضب"^(١) ولذة الخمر شبيهة بلمعان البرق من اتكل عليه قعد في الظلمة"^(٢).

فالعقل له صدأ، وصدؤه الغضب لأنه يخفي حقيقته ويؤثر على فعله وشكله وهو طارئ، ولذة الخمر طارئه، تمر سريعا تؤثر لفترة سريعة ثم تزول، تحدث تغيرا لكن شكليا لا جوهريا، فالعقل هبة الله لعباده، والطارئ هو الصدأ أو الغضب ولذة الخمر، فالمعادلة بين الصورة الطبيعية، والصورة الطارئة، وبين المؤثر والمتأثر، بين الغضب والعقل، والعقل والخمر، والبرق والظلام، بين الأصل والجوهر وبين الشكل. نور العقل، وظلامه الغضب، نور البرق وظلام الليل، صور معكوسة متقابلة فيها دقة الملاحظة وظروف الطبيعة والبيئة، والازدواج والموازنة بين أجزاء الصورة الصدأ والعقل، والظلام والبرق ولذة الخمر، والمتأثر واحد وهو العقل والمؤثرات كثيرة كالغضب والخمر، وهما رد فعل للمؤثر. فهناك مؤثر وهناك استجابة وهناك فعل وهنا رد فعل فالصراع بين المؤثر والمتأثر كما هو الصراع بين السلب والإيجاب، بين الخير والشر، بين القوة والضعف، ونتيجة ذلك المثالية التي يدعو لها .

* التفصيل :-

عمد الريحاني إلى التفصيل ولا يعني ضد الإيجاز، بل هو تكرار لتوضيح فكرة وإحداث إيقاع صوتي، وتناغم موسيقي، في جمل متوالية قصيرة، تبدأ بما تنتهي به الجملة السابقة وهو ما يسمى تشابه الأطراف، وهو أسلوب قرآني ورد في قوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض مثل نور كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري"^(٣) "ومثله" ماذل قوم حتى ضعفوا، وما ضعفوا حتى تفرقوا، وما تفرقوا حتى اختلفوا ، وما اختلفوا حتى تباغضوا،

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ص ١٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٣ .

(٣) النور : آية ٣٤ .

وما تباعضوا حتى تحاسدوا، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض^(١)

فانتهت الجملة الأولى بما بدأت بها الجملة الثانية وهكذا ينطبق على بقية الجمل، وتأثر بالمنطق وبدأ بمقدمات واستدلال ومن ذلك توصل إلى نتائج فبدأ من نقطة وانتهى بنقطة متوقعة، وبدأ بسلسلة من المقدمات فكانت النتيجة لهذا الاستدلالات ولم يكن هذا المثال هو الوحيد بل هناك أمثلة أخرى تأتي تباعا، فالمقدمات أو الفرضيات إذا كانت صحيحة والقياس صحيحا كانت تقود إلى نتائج صحيحة والعكس.

فالذل هو النتيجة للضعف، والفرقة، والاختلاف، والتباغض، والتحاسد والأنانية، هذا من حيث المعنى، ومن حيث التناغم في الألفاظ والتكرار فبدأ بسلسلة مترابطة كل حلقة تقود لما يليها إلى الوصول للنتيجة، الضعف يقود للفرقة، الفرقة للاختلاف، الاختلاف للتباغض، التباغض للتحاسد، التحاسد للأنانية فهذه الاستدلالات كثيرة، والمقدمات متعددة، وهناك الترابط بين العلة والمعلول.

الذل علته الضعف

الضعف علته الفرقة

الفرقة علتها الاختلاف

الاختلاف علته التباغض

وهناك ثنائيات وأزواج، وعلة ومعلول، وسبب ونتيجة، الرأي تبع طول التجارب، والزيادة تبع الشكر، والخلف تبع النفقة، والرفعة تبع التواضع، والثناء تبع لحسن السريرة، والدنيا تبع الآخرة والمودة تبع للنصيحة.

ولعل التسلسل والترابط المنطقي والمقدمة والنتيجة تظهر في هذه الأمثلة أيضا " من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه"^(٢)

ويمكن أن يكون لهذه الاستدلالات نتيجة حسب المقدمات المتوافرة.

من كثر كلامه - كثر خطؤه

من كثر خطؤه - قل حياؤه

من قل حياؤه - قل ورعه

^(١)الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

^(٢)المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

من قل ورعه - مات قلبه

إذن

من كثر كلامه - مات قلبه

فكثرة الكلام تميم القلب وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم .
فالمقدمة غير المحمودة تقود إلى نتيجة غير محمودة أيضاً ، والمقدمات المحمودة نتائجها محمودة فكل استدلال يبدأ بمقدمة يتسلسل إلى نتيجة منطقية وهذه الاستدلالات وردت نتيجة التأثر بالمنطق والفلسفة.

وقوله (من كان أعقل، كان بالله أعرف، ومن كان بالله أعرف، كان منه أخوف) (١) والاستدلال يكون كالتالي: -

من كان أعقل - كان بالله أعرف

من كان بالله أعرف - كان منه أخوف

إذن :-

من كان أعقل - كان من الله أخوف

فالعقل هو الدليل والمرشد للهداية والخوف ، والعقل والمنطق ما يؤمن به المتكلمون ويحتكمون إليه، فهو أساس المنطق وبه يتوصل لنتائج الاستدلال وبه تستنبط النتائج.
وقد يعتمد على أكثر من استدلال، ويتوصل إلى نتائج متعددة فهناك مقدمات عدة والنتيجة واحدة، أو مقدمات متعددة ونتائج مترتبة عليها.

فاعتمد في استدلالاته على أسلوب الشرط، والربط بين فعل الشرط وجوابه وبين المقدمة والنتيجة، وإذا ما انتهى بجواب للشرط جعله في عبارة أخرى فعلا للشرط، فيبدأ بما ينتهي به في عبارته السابقة، وتتشابه الأطراف بين فعل الشرط وجوابه، فأحيانا يكون جوابا للشرط وفي الجملة الأخرى يكون فعلا للشرط، وهناك تكرار لفظي وجمل متوازنة وأسلوب شرطي وإيجاز حذف، وربما يتوصل المتلقي إلى النتيجة حسب المقدمات في هذه العبارات.

* الأحاجي والألغاز:

وقد فتح الريحاني باب الأحاجي والألغاز بالنلميح إليها ووردت غير متكلفة بل هي حقائق صاغها بأسلوب تشويقي وأحيانا جاءت بأسلوب إنشائي وقد تكون مثل هذه السمة من ابتكار الريحاني فهو يحث العقل على التفكير لبحث عن الحل، وإثارة التشويق، والدقة في عرض عباراته وألغازه فقد لا يكون المتلقى يدرك الحل، وقد يسأل غيره ليجد الحل، وهذا معنى قول الأخفش: " لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى إدراك ما لم

يفهموا"^(١)، يرتقى بالملتقى لبحث عن الحل، ولعل هذا هو أسلوب تعليمي يعتمد على الفكر والاطلاع وطول التجربة.

وربما كانت تثير الدافعية بما فيها من خفة ودعابة ودقة في التفكير وسرعة بديهية، وهي طريقة للحوار والتشويق ومهارة لما فيها من جاذبية، ويمتاز من يتقن المهارة بخفة الظل لالتفاف الناس حوله وانجذابهم لحديثه، وربما تصبح هذه المهارة مولدة لمهارات أخرى ليزيد الناس انجذابا لحديثه، فهو ينمي العقول والمعارف والثقافة وربما حفز المتلقين للبحث عن مثل هذه الطرافة.

وكانت هذه الألغاز متناثرة في مضمون كتاباته فحتى لا يكون أسلوبه مملا فإنه يخرج من باب المواعظ والنصائح والوصايا إلى الفكاهة والدعابة، فكما ينتقل الجاحظ في موضوعاته بين نبات وحيوان، وكلمة وتفسير آية، وشرح حديث، وإلقاء طرفة ينتقل كاتبنا وينوع في أساليبه وموضوعاته. ففي موضوعاته المواعظ والنصائح، والصور والخيال، والألغاز والحكم، والفكر والواقع والبيئة، والطبائع والأخلاق، والموضوعات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والروحية فهو في ألغازه، ينتقل بين هذه الموضوعات ولا أجد سبيلا أو بديلا عن عرض هذه الألغاز وإن كانت تقوم على الطريقة العددية التي تأثر بها من طرق الأصالة والمعاصرة متمثلة بالقرآن والحديث ومن المنطق والثقافة اليونانية.

(١)الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ، ص ٢٤٣.

(٢) الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ٩٢/١ .

شيئان لا يعرف قدرهما إلا من فقدَهما العافية والأمن^(١).

وهو مضمون القول الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وفي الليلة الظلماء يفقد البدر، والأمن لا يقل قيمة عن الصحة ولا حياة دون أمن ولا اطمئنان بين المخاوف.

"شيئان لا يزيلُ الحسرةَ عليهما شيءٌ هما: الشبابُ وفراقُ الأحبة"^(٢) فالذاهب منهما لا يعود، فأيام الشباب لا تعود والوقت الذي ينقضي لا يمكن أن يعود، والراحل لا يؤوب، ويكثر الأسف على الشباب والأحبة فلا يأسف إلا على عزيز ولا يندم على شيء يجد غنى عنه فالقوة والنشاط والأحبة لا بدائل لها.

وشيئان ليس في الدنيا أقل منهما ولا يزيدان إلا قلة درهم حلال تنفقه في وجهه، وأخ ثقة تسكن إليه^(٣) ولا يكون حلالاً إلا إذا اكتسب بطريق مشروع، والأخ الثقة عزّ في زمن تحول فيه الناس إلى وحوش؛ لطغيان المادة وزاد إخوة المصلحة أو المنفعة، وقد حذر من ذلك لأنه يدعو إلى المثالية التي تجعل من الإنسان ملاكاً بدل أن يكون وحشاً، وإذا كان كذلك فماله حلال وكسبه حلال، وينفقه في حلال ويؤدي الحقوق الواجبة عليه.

"كلُّ شيء يُخلق صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تُخلق كبيرة ثم تصغر"^(٤) فالضدية واضحة عنده في المعنى واللفظ بين الكبير والصغير، بين ما يبدأ كبيراً وما يبدأ صغيراً في سنة الحياة، ومعكوسه الذي يبدأ كبيراً وربما قبل ذلك تثير حيرة الإنسان ما الشيء؟ ما هو، ما المقصود به؟ والتساؤل عن الشيء أو ماهيته، هو نوع من الفلسفة والمنطق لأنك تخاطب عقلك

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

وكانك تنتظر منه إجابة. ومع الأيام تصغر المصيبة حتى تنسى ولا يخففها إلا النسيان "كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه كلما كثر غلا"^(١).

فالمقدمة صحيحة ومنطقيه والتعليل يوضح ذلك فالفلسفة والمنطق والتقسيم والتعليل لا يمكن أحد أن ينكرها على أسلوبه وكتابات.

فكم من رجل يعد بألف رجل، وكم رجل يموت بلا حساب، فالإنسان لا يباع ولا يشتري وإنما يغلبه عقله، فقد يكون صاحب العقل من أشقى الناس إذا وجد بين الجهال ، وقد يكون أسعد الناس إذا كان في وسط يقدر عقله وعلمه.

وإذا قل عقله أصبح سفيهاً يؤدي نفسه قبل أن يؤدي غيره ، والبعد عنه فضيلة وعدم الورد عليه جوابه، والسكوت عن الأحمق جوابه.

ليس شيءٌ تنبيه إلا نقص سوى الكلام فإنك كلما تنبّه زاد^(٢) فإعادة الكلام زيادة، والزيادة قد تكون للتوضيح، والزيادة قد تكون عند الغضب أو لبلاده السامع، ولا خير في فضول الكلام إلا إذا كانت إعادته لتوضح حق، أو دفع باطل، أو حكمة يوضحها.

ومعظم العبارات وردت بأسلوب النفي وإما أن يكون شيئاً أو شيئين وربما الحصر بواحد أو اثنين من أجل الدقة والتقيد لا على سبيل الإبهام " ليس شيء إلا وتعجيله خير" من تأخيرته سوى الكلام فإن تأخيرته خير من تعجيله"^(٣) لأن زلة اللسان لا ترد ولا تعالج، وهي أشد من زلة السنان وتأخير الكلام يدل على عقل وفكر وروية، وتعجيله يدل على جهل وطيش لأن العاقل لسانه خلف قلبه، والجاهل لسانه قبل قلبه أو في فيه، وما أكثر من يقول ويندم! وما أقل من ينطق فيسلم!

فالتأخير مذموم في كل شيء سوى في الكلام، والتعجيل مذموم أيضاً في كل شيء بما في ذلك الكلام. فعاقبة العجلة الندامة، ويمكن أن يكون التعجيل مطلوباً في إكرام الميت احتراماً لكرامة الإنسان. فإكرام الميت دفنه وهو من التعجيل.

"وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه"^(٤) فالثواب والعقاب والبعث والحساب من القضايا الإيمانية التي لا ينكرها مسلم، وقد كانت من القضايا التي خاض فيها المعتزلة والمتكلمون، فجاء المحسن أحسان، وجاء المسيء عقوبة وعذاب، فالثواب تشويق للمحسن والمعروف بذل وعطاء فثوابه في الدنيا الثناء، وفي الآخرة الجنة والجزاء.

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، ص ٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .

"ليس شيء من المنافع الواصلة إلا داخل في أحد وجهين أحدهما يزيد الآخذ، وينقص المعطي، والآخر يزيد لهما جميعاً، فالأول الأموال التي لا يصل إلى الآخذ إلا بالنقصان مما عند المعطي، والثاني الحكمة والمودة، فإنها تصلح من وصلت إليه، ولا تنقص ممن خرجت منه وهي أهنا العطينتين وأبقاهما نفعاً"^(١).

فالمقابلة والتضاد بين العطاء والمنع، والزيادة والنقص، وبين المعنوي والمادي، فالمعنوي يزيد ما عند الإنسان ولا ينقص، كالحكمة والمودة التي بهما تنمو العلاقات، ويزيد الطرفان بهما مودة ومحبة، ومنفعة المال آنية زائلة، ومنفعة المودة والحكمة باقية دائمة.

وليس شيء أعجل من تغيير نعمة، وتعجيل نعمة من الإقامة على الظلم^(٢)، فالظلم ظلمات وعاقبته وخيمة وفيه تجاوز على حقوق الآخرين والحاق الأذى بهم وحذر منه استجابة لأخلاق الإسلام وقيمة وهو سبب لمحق النعم، وتعجيل النعم، فأسلوبه يقوم على التوازن والازدواج والسجع. وما في هذه العبارات من إيجاز وقصر، وما فيها من بلاغة في تأدية المعنى بأقل العبارات. حتى كانت هذه الأحاجي أشبه بالتوقيعات ومعظمها بدأ بالنفى فإما أن يكون مفرداً وإما أن يكون مثني وهو تدريب ذهني يخاطب العامة والخاصة، وفيه تنويع وتجديد وتوليد، فيه انتقال من خبر إلى إنشاء ومن حوار وجدل إلى منطق وتعليل وتقسيم، وبين إيجاز وتفصيل، ويمكن أن نضيف الازدواج والتوازن والمقابلات، ويمثل في ألغازه المنطق وحسن التقسيم، فالألفاظ سهلة وواضحة لكن العقل يبحث في المعاني والحلول، ولم يغفل الزخرفة البديعية لكن تأتي عفو الخطر غير مقصودة لذاتها بل هي تبع للمعنى.

* الطرفاة والدعابة:

تأثر الريحاني بأسلوب الطرفاة الرصين، وزيارة الجاحظ إليه أثناء مرضه، وزيارة صديق له انقطع عن زيارته، كانت في هذا المجال.

وكان يعاني من الحساد والوشاة بسبب مكانته عند الخليفة المأمون، ولأمله أصحابه حين يتأخر عن موعد الصلاة

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

بسبب الحديث مع الجوارى^(١) وفراغ قلبه إذ يطلب له ساكناً من بين هذه الجوارى^(٢) كما أنه يطلب من الجارية أن لا تطيل الصلاة في هذا اليوم لتتمتع بالنظر لأختها وتطيلها في يوم غد شكراً لله^(٣). "وزاره الجاحظ أثناء مرضه، فقال ما تشتهي؟ فقال أعين الرقباء ، وأكباد الحساد ، وألسن الوشاة"^(٤) وكان يعاني من الحسد والوشاة كما عانى المشهورون في أزمنة مختلفة كالمتنبى مثلاً . وتأخر أحدهم عن زيارته وكان من قطيعة الربيع وعاتبه بسبب انقطاعه واستدرك قائلاً: "كيف أعاتبك على القطيعة؟ وأنت من أهل القطيعة؟"^(٥) ولا يخلو أسلوبه من التنويع والتجديد، ومن الطرافة والفكاهة وخفة الظل من الزينة والحلية التي يتزين بها الكتاب العظام ولكن يغلب على كتاباته الاعتدال والوقار، وكانت الخفة والطيش في أيام اللهو والشباب ويغلب على كتاباته العقل والمنطق لا الهوى والعاطفة. وربما كانت هذه الخاصة من ثنائياته الضدية بين الجد والهزل. فالهزل في أيام شبابه والجد في أيام الشيخوخة والكهولة.

* المحسنات البديعية :-

لم يحفل الريحاني بالمحسنات البديعية والزخرفة إلا ما جاء عفو خاطر دون تكلف أو عناء فكانت الزخرفة اللفظية تُملئها العبارات المتوازنة والأزدواج، وكانت هذه العبارات تزيد الإيقاع جمالاً والموسيقى عذوبة، ويلجأ إلى التعبير عن المعنى الواحد أحياناً بعبارتين أو أكثر. فكانت عباراته كالقطع الموسيقية المتوازنة ولربما انتهى بعضها بالسجع أو بالتوازن والأزدواج "من أحسنَ فبنفسه بدا، ومن أساءَ فعلى نفسه جنى، ومن طال تُعديه كثرتْ أعاديته، ومن مالَ إلى الحقِّ، مالَ إليه الخلقُ"^(٦)

فالعبارات متوازنة قصيرة يكثر فيها العطف والشرط مما يجعل التكرار واضحاً والنهيات مسجوعة من غير قصد- "بدا - جنى" "تُعديه - أعاديته" "الحق - الخلق" فقد جعل من اللغة مادة مرنة طيعة لعباراته وصياغاته ويبدو التقابل بين هذه العبارات "أحسن - أساء" "بدا - جنى" فالجناية هي عاقبة العمل ونتيجته فكل بداية لها عاقبة إما محمودة أو مذمومة .

وعنايته بالفاظه لا يمكن أن تكون على حساب معانية، فالمعاني واضحة وكان التقابل بين الجوانب السلبية والإيجابية وراء قصر الجمل وتوازنها وتكرار العطف فيها فالمقدمات يترتب

(١) التوحيدي، البصائر والذخائر، مصدر سابق ، م ١٦٢/٤ .

(٢) الزمخشري ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مصدر سابق ، ٩٣/٥ .

(٣) انظر ، البصائر والذخائر ، م ١٦٢/٤ .

(٤) الزمخشري ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مصدر سابق ، ٩٣/٥ .

(٥) الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ، مصدر سابق ص ٣١ .

(٦) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ص ٢٩٧ .

عليها نتائج والصد يظهر حسنة الصد. " ليس الخائفُ من الله من بكى وعصر عينه، إنما الخائفُ من ترك الأمر الذي خاف أن يعذب عليه"(١).

فالخوف من الله ليس البكاء رياء والتظاهر بالندم ساعة لا ينفع الندم، وإنما الندم الصحيح الإقلاع عن الذنب، وعدم العودة إليه فانتتهت الجملة الأولى " بكلمة عينيه " والجملة الثانية "يعذب عليه " فلا تكلف في عبارته وإنما قدم معانيه على الفاظه فجاءت ألفاظه في مواقعها.

وكانه في ذلك يلتزم أسلوب المتكلمين الذين يعتمدون على مقابلة الألفاظ بالألفاظ والمعاني بالمعاني، فالمعنى الجميل يحتاج لفظاً جميلاً. وقد يعود سبب نجاحه وإقناعه بحكمه ومواعظه، للتقابل في كثير من العبارات حتى يظن الجاهل أن يأتي بمثلها، كما في قوله " لا يلينُ الكريمُ على قسر، ولا يقسو على يسر " (٢) واضحة بين القسر، واليسر واللين والقساوة . لكن يتعذر على الجاهل أن ينظمها بالصياغة المتينة، ويرتبها هذا الترتيب حتى توازن الجملة الأولى والثانية وحتى ينتهي بهذه النهاية المسجوعة فلا تستقيم له اللغة لولا قدرته وبراعته وفصاحته.

وهناك الجنس غير المتكلف ورد في بعض العبارات وربما كان من الجنس الناقص الذي يأتي في سياق العبارات وليس مقصوداً لذاته "لا عُذَرَ في عُذْر" (٣) فالحروف متشابهة من حيث العدد ومختلفة من حيث النوع. ويمكن أن يلتبس للمخطئ عذرا لكن الغدر أو الغادر ليس له عذر في غدره.

ومن عباراته التي يبدو أثر الإسلام فيها "لا تُهمل فإنك لا تُمهل" (٤) فاختلف ترتيب الحروف في هذه العبارة، فالإهمال لا يكون معه إهمال ولكل شيء وقته.

أثر الريحاني في أدب غيره وتأثره بهم :-

تأثر الريحاني بكتاب العصور السابقة كما تأثر بمعاصريه، ويمكن أن نلمح أثره في أدب غيره، فتأثر أخوان الصفا بفكره وآرائه ومبادئه، كما تأثروا بفكر ابن المقفع، ولا أدل على ذلك من أخذ التسمية من باب الحمامة المطوقة فصفاء العلاقة والمودة بين الإخوان، هي علاقات مودة لا علاقات مصالح أنية.

وقد كانت المبادئ التي نادى بها الريحاني هي التي كانت تعد دستوراً لإخوان الصفا،

(١) الريحاني ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، مصدر سابق ص ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤١ .

"فالموتُ عندهم ولادةُ الروح"^(١) وكانوا يتمثلون القول " داركمُ أمامكم، وحياتكم بعد موتكم"^(٢) فهم يرون الفناء للجسد فقط، والروح باقية خالدة، وهم لا يعادون علما من العلوم، أو يهجرون كتاباً من الكتب، ولا يتعصبون على مذهب من المذاهب فمذهبهم يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها .

وصداقتهم ليست خارجة عن ذاتهم، وإنما هي قرابة رحم، واعتقادهم جميعاً أنهم من نفس واحدة في أجساد متفرقة، ورسائلهم تحاول أن تجمع بين الفلسفة والدين، وقد أخذوا الحكمة والفلسفة كما أخذها غيرهم من اليونان وفلاسوفيا محب الحكمة، ولا يقبلون تفسير الحياة من الظاهر بل لابد من التعمق والفهم والإدراك لبواطن الأمور، ولا يقبلون بالقول دون الفعل ولعل هذا واضح في منهج الريحاني وقوله: " فضلُ الفعل على القول مكرمة، وفضلُ القول على الفعل دناءة"^(٣) فالقول بلا عمل يصبح حجة على صاحبه، ولا يكثر من القول لأنه يعتبره من الفعل، ولا يقبل القول دون دليل فأكثر الكذب مما يسمع " كلُّ علم بلا عمل يصيرُ وبالا على عامله"^(٤).

فإذا أرادوا الدليل والبرهان، فالعقل دليلهم ومرشدهم لذا فقد حاولوا التأويل والتفسير، وفي هذا ميل لأسلوب المتكلمين والمعتزلة " قوامُ الجسد بالقلب، وقوامُ القلب بالروح، وقوامُ الروح بالعقل وقوام العقل النقي، وتامم النقي التحقيق"^(٥)

فاستخدام المنطق والاستدلال أو المقدمات التي تقود إلى نتائج كانت من أثر الفلسفة اليونانية في أدب الريحاني، كما تأثر بها إخوان الصفا والنتيجة التي توصل لها أن قوام الجسد بقوام العقل والنقي، فالعقل يمثل الفلسفة، والنقي يمثل الدين، وهو المنهج الذي نادى به إخوان الصفا وسبقهم ابن المقفع به، والذي يجمع بين الفلسفة والدين. وسلكه المعتزلة حين قدموا العقل ولجأوا للتأويل وقال الجاحظ " لا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في القناعة يصلح

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، إعداد عارف تامر، ط١، منشورات عويدات، بيروت ١٩٩٥ م، ١٧١/٥.

(٢) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

للرئاسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة" (١).

فالمتكلم لا يحسن الكلام والاحتجاج لأرائه إلا إذا أخذ نفسه بثقافة فلسفية واسعة، ولم يكونوا يتتقنون بالثقافة الفلسفية وحدها بل كانوا يتتقنون أيضاً بكل ضروب الثقافات التي عرفت في عصرهم.

وقد أثر في أدب أبي العلاء المعري حين ذكر الخلق والموت والأصل من التراب والعودة للتراب وكان أبو العلاء ينظم قول الريحاني " ما أظنُّ أديم الأرض إلا من هذه الاجساد. فيقول الريحاني " مشي الخيلاء من أخلاق الأشقياء، فإذا مشيت فوق الأرض فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقها، وكيف كانوا أمما، وكيف صاروا رمما" (٢) فلم الخيلاء إذا كانت هذه الأرض والتراب من بقايا الأجساد.

بعد استعراض الموضوعات التي عالجها الريحاني نستطيع أن نحكم أن هذه المادة الغزيرة كانت تأثراً بسابقه ومعاصريه وإبداعاً من موهبته وعقليته، وهو لا ينكر هذا فهو لا يحتشم أن يتعلم من أي أحد مما لا يعلمه، كما أنه جمع مادته من مظان الكتب التي يصعب توفرها لكل دارس ليجعلها ميسورة بين يدي طلاب العلم. كما أنه قد غيّر بعض العبارات تسهيلاً لها لتلائم الأبواب التي صنف حكمه فيها. فكان متأثراً ومؤثراً ولا أدل على ذلك من قوله:-

أ- لا أنف من أحد أتعلم منه إذا كان يحسن ما لا أحسنه.

ب- لا أعادي علماً من العلوم ولا مذهباً من المذاهب.

ج- إني مداوم لذلك في الزمان كله لا أمله.

د- إني رغبت في العلم لذات العلم لا بغرض من الأغراض المستفادة.

وقد كان يعمد إلى الجوانب الإيجابية، وإذا ما وجد جانباً سلبياً أخذ الجانب الإيجابي منه، فمنهجه يقوم على الثنائية الضدية بين الجوانب الخيرة والشريرة، ولكن هو يحور كل جانب لما يريده. كما فعل الجاحظ في المحاسن والأضداد.

١. "ووجدتني قد انتقلت بما قرأته من كتب الآداب عن كثير من مساوي الأعمال،

وتعلمت منها كثيراً من محاسن الأفعال"

٢. جمعت في كتابي هذا مما وقفت عليه في كتب أهل الفضل وآداب ذوي العقل

(١) الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق ١٣٤/٢.

(٢) الريحاني جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٨٦.

ما رأيته يصلح أن يثبت في كل باب (١) ..

وكان يهدف من وراء ذلك لإفادة الدارسين وتنبيه الغافلين ولتكون هذه الآداب دستوراً يدرسونه ويحفظونه. وقد حملت عنهم وعن غيرهم ثقل الجميع وتعب التفتيش في المواضع المتباعدة والكتب المتفرقة، التي لا تكاد تُجمع عند أحد، وإن اجتمعت كانت هذه المعاني مختلطة بغيرها.

فهو إن نقل وتأثر بالسابقين فإنه لن يكون متأثراً بل مبدعاً أيضاً ومولداً حيث يقول.
(أ) مع أضافه خاطر إليها مع اختصاري لما رأيته أن اختصاره أنفع للقارئ .
(ب) تغيير لي لما لاح لي أن تغيير العبارة فيه يقرب معناه إلى فهم الناظر، وإدخاله في الباب الذي أريده (٢).

وكان في هذه الأعمال من الجمع والتفتيش والاختصار والتغير والإضافة والتقسيم يرجو الثواب والجزاء، ونفع الدارسين، وتسهيل تناول الأبواب فقام فجعله ثلاثين باباً بحسب حروف الهجاء ليتمكن الرجوع إليه.

فكان هذا نهجه في تأليف المخطوطة وجعل الباب الأول في نصح الكتاب سيراً على نهج عبد الحميد الكاتب في رسائله للكاتب، وما يجب أن يتحلى به الأدباء، والعلوم التي لا يستغني عنها أحد منهم كعلوم القرآن الكريم، والأحاديث، واللغة والحساب، إضافة إلى المنزلة التي يحظون بها عند الخلفاء فهم العيون والأذان والأيدي التي بها يرون ويسمعون ويبطشون.

ومنها رسالة الصحابة للجاحظ، فلم يكن التشابه بالموضوعات بل كان بالأساليب وخير ما يوضح ذلك اعتماد أسلوب وحدة الجملة الذي اعتمده الإمام علي كرم الله وجهه، في حكمه ومواعظه، كما اعتمد هذا الأسلوب من بعده ابن المقفع في كتاباته، ويلاحظ على الحكم والمواعظ الريحانية عدم ترابطها، وإيجازها وقصرها فكانت مكثفة ومركزة، وأحياناً مكررة في قوالب لفظية أو في موضوعات أو عبارات بحسب الأبواب التي صنفها .

وأكد ألمح أن الثنائية الضدية كانت هي المحور الذي ارتكز عليه في مخطوطته فلا يلخذ جانباً حتى يأخذ ما يقابله. كما أن الإمام علي كرم الله وجهه حين وصف العاقل. قال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، فقليل له: - صف لنا الجاهل، فقال: - قد فعلت (٣). وهذا يعني أن الاختصار

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٨-١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨-١٠.

(٣) عبده، محمد، نهج البلاغة، مصدر سابق، ٥٢/٤.

كان أسلوبا بارزا من أساليبه، ويعرف هذا بالمقابلة أو التضاد. ويضيق المجال عن ذكر أمثلة خوفا من التكرار لأن الأمثلة متعددة ومتكررة في الموضوعات الرئيسة والفرعية. "كمل من إذا غضب لم يخرج غضبه من الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل"^(١).

فكما أن الريحاني اعترف بتأثره بسابقه والأخذ عنهم سواء في الموضوعات أو الأساليب، وأضاف الشيء الكثير لما أخذه عن غيره فهذا الإمام علي كرم الله وجهه، يشير إلى ضرورة الأخذ من الآخرين ولا يضيره هذا شيئا "ولولا أن الكلام يعاد لنفد"^(٢) وليس العيب في أخذ الفكرة ويمكن أخذ المعنى والزيادة عليه ليصبغه بطابعه أو يصوغه بأسلوبه المميز. "وليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوا عليها في حسن تأليفها، وجودة تركيبها"^(٣).

فيمكن أن تصاغ الأفكار بقوالب لفظية جديدة، وربما تفوق اللاحق على السابق، إذا أحسن الصياغة، وأصاب الفرصة والموضع وراعى أقدار سامعيه. ويذكر دليلا أو برهانا على إمكان تكرار الفكرة بقوالب أخرى "ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد استماعه"^(٤).

وهذا ابن المقفع يجعل الفضل في علمه وثقافته للسابقين فقد سار على نهجهم في موضوعاته وأسلوبه فالأدب والثقافة حلقات في سلسلة ترتبط بالواقع كما ترتبط بالمشاعر والحاجات، والكااتب لا يكتب لنفسه بل يكتب لغيره، ولا يكتب من فراغ فهو يتأثر ويؤثر فتتكون الصورة بجزئياتها وتكتمل بألوانها وجوانبها، فقد يعالج الكاتب زاوية من الصورة، ويأتي غيره يكمل ألوانها حتى تخرج ناصعة معبرة عن نفسه وعصره، وكمؤثرات حوله يقول ابن المقفع "منتهى علم عالما في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم "يريد القدماء" وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم، ومن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من أبواب الأدب التي يحتاج إليها الناس"^(٥).

فهو يستقي من روافد متعددة ويفصل ويوشي رسوم المعاني حتى تكون ملائمة للمعاني والذي ساعده على ذلك إتقانه اللسان الفارسي ومهارته في تحويله إلى اللسان العربي، فيجعل اللغة

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرادى الحكم، مصدر سابق، ص ٦٣.

(٢) القلقشندي، أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

وانظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مرجع سابق، ص ١٩.

(٣) المصدر نفسه، ١٢٢/٢.

(٤) المصدر نفسه، ١٢٢/٢.

(٥) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ٦٨.

لديه مرنة طيعة سهلة، يتخير منها ما يلائم معانيه ومستمعيه، " وقد وضعتُ في هذا الكتاب " الأدب الكبير والأدب الصغير " من بين كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عونٌ على عمارة القلوب وصقالها وتجليه أبصارها... " (١) .

ولم يكن الجاحظ لينكر فضل من تقدمه فهو قد أكمل الطرق التي رسمها السابقون وجمع كثيرهم لقليله، استفاد من تجاربهم وخبراتهم لفتح ما استغلق عليه، ولم يكن دوره الوقوف على نتائج من سبقه بل كان له دور المبادرة في أساليبه وموضوعاته، فلم يكن مثلياً فحسب، بل كان مبدعاً في أساليبه وموضوعاته، حتى كان مؤثراً في غيره كما تأثر بسابقه " وكن كالنسر حوله الجيف، ولا تكن كالجيف حولها النسور " (٢) فهو يعطي أكثر مما يأخذ وليس هو عالة على غيره بل يرى بعض الكتاب كابن العميد أن الأدباء والفصحاء عالة عليه في البلاغة والفصاحة. فهو يعترف بتواضع العالم أن من تقدمه كان لهم فضل سبق عليه " ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا ما لم نكن ندركه إلا بهم لقد خس حظنا من الحكمة " (٣). فلم ينكر أحد من معاصري الريحاني وسابقه قضية التأثير والتأثير وكان واحداً منهم في اعترافه بالجمع وأضافه الخاطر وفضل من سبقه عليه، حتى أن بعض الموضوعات كانت تكراراً لسابقه ولم يقف التأثير بالموضوعات عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الأساليب وخير ما يوضح ذلك ما ورد في مخطوطته كالاقتباس والتضمين والمزاوجة والتوازن، والسجع، والمقابلة، ووحدة الجملة لا وحدة الموضوع وحسن التقسيم والتعليل، والإيقاع الموسيقي أو التلوين الموسيقي والعقلي والمثالية في حكمه ومواعظه ونصائحه.

وبعد فقد أخذ الريحاني من الأمام علي كرم الله وجهه، حكمه ومواعظه ووصاياه "بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد" (٤) وأخذ من ابن المقفع المثالية في كل شئ في الصداقة، في الأخلاق والسلوك، في سياسة التعامل مع الخلفاء والملوك، في تعدد موضوعاته وفي أسلوبه. الذي يعتمد فيه على وحدة الجملة، وتنويع مصادر ثقافته بين إسلامية وعربية وفارسية، ويونانية وهندية، فاستفاد من كنوز المعرفة وروافدها واصطفى منها أصفافها وأعذبها، واجتنب التوعر والتعقيد اتباعاً لنصائح ابن المقفع لأنه يرى في ذلك العي الأكبر واختار الوسطية بين ما يناسب الخاصة ولا ينحط إلى الإسفاف أو العامية، واعتنى بمقابلاته كما اعتنى الجاحظ بالمحاسن والأضداد،

(١) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، مصدر سابق، ص ٦٨، وانظر حمزه، عبد اللطيف، ابن المقفع، مصدر سابق، ص ١٥٨

(٢) الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، ٣٣٠/٦ .

(٣) المصدر نفسه، ١٢٨ .

(٤) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق ص ٤٩. وورد هذا القول في نهج البلاغة ٤/٤٩ .

ومناسبة الكلام لمقتضى الحال فلازم بين كلامه ومستمعيه، واختار ما يناسب الموقف الذي هو فيه. ولا يخلو من تأثره بالفلسفة والمنطق وحسن التقسيم فاختر الجدل والحوار والإقناع، كما امتاز بصحة استدلاله وقياسه، فيعتمد إلى المزاوجة والتوازن والسهولة والوضوح، ونبين بعض الأمثلة تجنباً للإطالة أو التكرار:-

"سئل بعض الحكماء، هل يقدر الإنسان أن يعم الناس بجوده؟ قال: نعم، وذلك أنه إذا أحب لهم الخير بقلبه فقد عمهم بجوده"^(١) وهذا ما يمثل الحوار والجدل وحسن الاستدلال. وخير ما يمثل التقليد والأتباع لأساليب كتاب عصره في المزاوجة والمماثلة والمطابقة وحسن التقسيم والتوازن. خصال أربعة تتولد منها المحبة :-حسن البشر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك النفاق. وأربعة من علامات الكرم:-بذل الندي، وكف الأذى، وتعجيل المثوبة، وتأخير العقوبة^(٢)

وقد تأثر بعبد الحميد الكاتب حين بدأ مخطوطته برسالة وجهها للكتاب في عصره، مقدماً فيها خبرته وتجربته لهم، وقد كانت الظروف التي عاشها أشبه ماتكون ببيئة وظروف عبد الحميد الكاتب، إذ كان كل منهما في بلاط خليفة من الخلفاء، فكان عبد الحميد من خاصة مروان بن محمد، كما كان الريحاني من خاصة جلساء الخليفة المأمون، كما عاصرا الصراعات على الخلافة فكان مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين حين أفل نجمهم بعد بزوغ فجر الخلافة العباسية. وكان الريحاني قد عاصر الصراع بين الأمين والمأمون على السلطة والذي انتهى بتولي المأمون وعاصره طيلة فترة حكمه وتوفي بعده بعام، ومصدر ثقافة عبد الحميد الكاتب الإمام علي حين سئل "أخذت من الأصلع البطين"^(٣) أو حفظت كلام الأصلع ولا يمكن أن يكون التأثير محصوراً بكاتب بعينه بل كان التأثير واضحاً بسابقه ومعاصريه أي بكتاب عصره فتبرز ملامح بعض الكتاب بشكل أوضح من غيرهم. وإذا ما اعتبرنا أن الريحاني تأثر بغيره أثبتنا ذلك إما بموافقة الموضوعات أو باتفاق الأساليب فقد كانت عباراته أو حكمه تأخذ طابع الإيجاز والتنوع وربما ورد تكرار لبعض العبارات كما ورد لمعنى حديث الرسول عليه السلام اغتتم خمساً قبل خمس

(١) الريحاني، جواهر الكلم وفرائد الحكم، مصدر سابق، ص ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٣) ورد في هامش (١) ص (٤) .

شبابك قبل هرمك...، ووردت في باب آخر بعبارة بادر شبابك قبل هرمك...^(١)

فإذا كان الإيجاز من سمات أسلوبه فقد سبقه كتاب آخرون في هذا المجال واقتفى أثرهم ولا أدل على ذلك من قول جعفر بن يحيى البرمكي " إن قدرتم على أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا " ^(٢) ولعل حكمة الموجزة والمكتفة تأسيساً بمثل ذلك.

^(١) ورد في هامش (٣) ص (١٠) .

^(٢) ورد في هامش (٦) ص (١٣) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وبعد :- الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي وما اعتمادي وما توكلتي إلا على الله. ففي هذه العجالة، أقدم ملخصاً لموضوع رسالتي التي تتناول التعريف بالكاتب والعالم علي ابن عبيدة الريحاني، ولمحه عن حياته: اسمه وكنيته ولقبه، وعصره ومعاصريه، وملامح شخصيته، وأراء القدامى فيه، واتجاهه الفكري.

فهو علي بن عبيدة الريحاني، يكنى بأبي الحسن، وقيل:- إن سبب تلقبيه بالريحاني ؛ أن أجداده قد عملوا في بيع الريحان، وقد كان من خاصة جلساء الخليفة المأمون ، وعاش الفتنة التي حدثت بين الأمين والمأمون، وكان أحد الثلاثة المقربين للخليفة، كثرامه بن أشرس، ويحيى بن أكنم، وهم من علماء المعتزلة، وكان لهم الأثر الأكبر في إقناع المأمون بالاعتزال كما ورد في الفرق بين الفرق، وقد اتهم بالزندقة، ولم يعرف السبب على وجه التحديد لهذا الاتهام.

ولعل هناك أسباباً مذهبية وراء هذا الاتهام، أو أسباباً سياسية، فقد أثار قربه من المأمون الحاسدين، وربما كان ميل المأمون للعلوية هو الذي أثار سخط العباسيين عليه، فلبس الخضرة بدلاً من السواد، وعين علي بن موسى الرضا ولياً لعهد، مما أثار حقدهم عليه، وطلبوا مبايعة إبراهيم ابن المهدي، وأما الأسباب المذهبية فهي القول بخلق القرآن، الذي صار مذهباً رسمياً للدولة. والأسباب مجتمعة كانت من أسباب اتهامه والكذب عليه. وقد وجدت أن الأخبار عنه في كتب التراث قليلة تكاد تكون إعادة وتكراراً.

وأما التوحيدي فكان يرى أن سبب اتهامه بالزندقة علاقته بالجواني، فله كثير من القصص في زمن شبابه مع الجواني، إذ قالوا إنه يؤخر الصلاة عن وقتها، بسبب انشغاله بالحديث معهن. ولم أجد في أقواله ما يدل على مجونه أو انحرافه سواء في ما ورد في المخطوطة أم في كتب التراث.

ولكن أدبه لا يخرج عن الحكم والمواعظ والنصائح والوصايا والعتاب، والإرشاد والتوجيه. فهو داعية للمثالية في كل شيء، مما يدعو لها العقل وقد احتصر هذا في قوله "العقل ملك والخصال رعيته، فإذا ضعف عن القيام بها، تسلل الخلل إليها" والعقل والهوى ضدان لا يجتمعان فأيهما غلب مال بصاحبه".

وكانت أقواله متناثرة في كتب التراث، كالבصائر والذخائر للتوحيدي، ونثر الدر للآبي وربيع الأبرار للزمخشري ومعجم الأدباء للحموي، وكانت أقواله تتكرر في أكثر من مصدر، وقد أزال الغموض عن أدبه واتجاهه، مخطوطته "جواهر الكلم وفرائد الحكم" التي كانت اسماً على

مسمى ، فهي أقوال من حكم ومواعظ ونصائح ووصايا، تصلح لكل زمان ومكان. فكانت إنسانية؛ لا تخص قوماً دون قوم، أو جيلاً دون جيل، وقد قال التوحيد في أدبه، إنه يجب أن يسان كما تصان أسرار الكيمياء.

ومادة أدبه كانت مصادرها الرئيسية، القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام الامام علي وابن المقفع.

وقد أثبت تأثره بالإمام علي وابن المقفع بجدول موازنة في نهاية الموضوعات، فكان التأثر باللفظ والمعنى، واقتصر على ذلك في الموازنة، وأحياناً ذكرت التأثر بالمعاني، ويمكن أن نضيف إلى أنه تأثر بالثقافات الوافدة كالفارسية حتى كانت بعض المؤلفات تحمل أسماء غير عربية، وربما كانت لشخصيات فارسية أخذ عنها، أو بعض ملوك الفرس، وهذا ما ذكره العاكوب وتأثر بالثقافة اليونانية، كما تأثر المعتزلة بهذه الثقافة حتى أصبح عنصر الجدل والمناظرة والحوار والإقناع من الأساليب التي اعتنى بها ، وجعل العقل دليلاً ومرشده، ولا يقبل قولاً دون برهان؛ لأن أكثر الكذب مما يسمع. ولعل حسن التعليل، والتقسيمات العددية، من أثر الثقافة اليونانية.

أما من حيث أثر الثقافة الهندية، فظهر في الزهد والتتسك، ولعل مثل ذلك قد كان بداية التصوف، ولكن لم ينضج مثل هذا الاتجاه في أدبه، وإن وردت بعض المصطلحات كالمقامات والرياضات، والزهد والتتسك لم يكن في الإسلام كمثله الهندي، فكان الزهد الإسلامي زهداً لما بعد الدنيا، أي للآخرة ، فهو ليس لذاته ويختلف بأخذ النفس بشيء من القسوة والحرمان.

ومن خلال استعراض موضوعاته والمؤثرات في حياته يتبين لنا ما يلي:-

أن الحكم على الريحاني لم يكن موضوعياً، أو دقيقاً، وإنما كان إسقاطاً أو قياساً على جلسائه فلم يكن في النصوص التي أُسبت له ما يثبت زندقته.

أما عن علاقته بالجواري فلا يخلو قلب رجل من أن يتعلق بامرأة حلال أو حرام ولعل علاقته مع الجواري في وضوح النهار وعلى مرأى من أصدقائه، يبين أن هذه العلاقة لم يكن فيها شيء من الريبة . وبالرغم من المثالية التي دعا إليها، والمساواة، وحب الخير للناس لأن الإنسان لا يستطيع أن يعم الناس بجوده، ولكن إذا أحب لهم الخير، فقد عمهم بخيره وجوده.

وعندما زاره الجاحظ من مرض ألم به قال :- ما تشتهي أو ما تشتهي يا أبا الحسن؟ فقال: أعين الرقباء، وأكباد الحساد، والسن الوشاة، فقد كان يشكو من الحسد والحساد والوشاة، ويحذر منهم فالحاسد والحسد يتكفل بالأقارب والخطاء والأصدقاء، وهو خلق لئيم يدل على قلة الورع، ولؤم الطبع، لذا حذر من الحاسد كما يحذر من اللص على الدراهم.

وكانت الأسباب السياسية والمذهبية هي وراء ضياع آثاره، أو إغفالها، بالرغم من أن بعض الأدباء من يفضلُّه على الجاحظ. وقد اعتمدت على الدراسة والاستقراء والتحليل لهذه الأقوال

وتبين لي أن حكمه ومواعظه كانت قصيرة موجزة، تنطلق من منظور إسلامي يعتمد على الإقناع والعقل ويهدف إلى رسم الإنسان القدوة والمثال، الذي يؤدي نفسه قبل تأديب غيره.

لماذا اختفت مؤلفاته التي نافقت على الخمسين؟ كيف بقيت هذه المخطوطة بعيدة عن

الضياع؟

وتصدر أحياناً أحكام غير دقيقة فيها تحامل وذلك لأنها تحتاج إلى تعليل أو ما يؤكد ما من خلال النصوص. وما ورد في هذه المخطوطة ، وما فيها من توجيه وبعث أخلاقي إنساني ، يحتاجه كل إنسان وهو يعترف بأنه تأثر بالسابقين وأخذ عنهم مع إضافة الخاطر فهو لم يكن مقلداً، بل مبدعاً ، لعله تميز بأحاجيه والغازه، التي كانت إحدى ميزات أسلوبه.

فالرسالة تتكون من ثلاثة فصول، الفصل الأول ويتضمن ما يلي:- اسمه، وكنيته ولقبه، ولادته، وفاته، ملامح شخصيته، واتجاهه الفكري لإزالة بعض الغموض الذي يكتنف شخصية المغمورة.

وأما الفصل الثاني ، فهو موضوعاته ومصادرها، وربما كانت هذه الموضوعات خير ما يمثلها مخطوطته " جواهر الكلم وفرائد الحكم" . وذلك لأن ما ورد له من أقوال في المصادر السابقة قد جاءت مكررة فيها، ولا تفي بالدراسة، وبعضها تكرر في المخطوطة.

فكانت الموضوعات الاجتماعية، هي التي توضح علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والأخ، والصديق، والمرأة، والراعي والرعية، والعامة والخاصة.

والأخلاق الكريمة: كالصدق، والجود، والعفة، والوفاء، والحياء.

والأخلاق الذميمة : كالسعاية والنميمة، والحسد، والغدر والخيانة والكذب وهناك موضوعات دينية: تتعلق بالزهد، والتصوف، والورع، والتقوى، والعدل، والشورى.

والموضوعات السياسية: كشرائط صحبة السلطان، كالثقافة - والكفاءة - وحسن المعاشرة، والدعوة للسلم، والبعد عن الحرب ومخاطرها ؛ لأن في السلم حفظاً للوطن ، ودعة للناس .

والموضوعات الاقتصادية:- كالاقتصاد في الإنفاق والوسطية وعدم التطرف والمغالاة ، والكسب الحلال، والقيام بالواجبات، والإنفاق في غير إسراف، وحسن التخطيط، والبعد عن العشوائية، لأن رسم الأهداف بدقة يستدعي استخدام الوسائل، ووجود الحوافز والدوافع، يؤدي إلى سرعة الإنجاز، فالثمرة لا تنال إلا في وقتها، وطلب الحاجة في غير وقتها، يتعذر الحصول عليها، فيمكن الاستعداد لكل أمر قبل أوانه، لكي يتحقق المطلوب من ذلك .

أما الفصل الثالث فهو خصائص نثره الفنية، ويمكن تقسيمها إلى اتجاهين :-
التقليدي : وهو التأثر بالمعاني الإسلامية، والقرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال الآخرين والمعاصرين.

واستخدام الزخرفة البديعية غير المتكلفة، التي تأتي عفو الخاطر كالسجع، والمقابلات، والثنائيات الضديه وتكرار المعنى في عبارتين والإيجاز، والسهولة، والوضوح لأنها تعتمد على الأسلوب الخلقى التهذيبي الوعظي الذي يخاطب الجميع ولا يخاطب الخاصة. فضلاً عن الأزواج والتوازن.

وأما التجديدي:- فيمكن أن ألمح : حسن التعليل، فلا يقبل أي رأي دون دليل أو برهان، وربما يختار بأسلوب طريف ما يقنع القارئ بما يريد، كالشاهد على الموت، فموت الأبناء دليل على موت الأبناء، والنبات يخبر بالحصاد، وموت الأصل دليل على موت الفرع. وهناك حسن التقسيم، والطريقة العددية، فأخذ تقسيم الأعداد من الواحد والاثنتين، والثلاثة، والأربعة. وقد وردت هذه النماذج في أسلوب العرض والخصائص.

وقد فتح الباب إلى الأحاجي والألغاز في ثانيا المخطوطة حين أراد أن يعلم العربية والموضوعات الحكيمة بأسلوب الإستفهام ووردت بعض هذه الأحاجي والألغاز في الكتب التراثية دون أن تنسب لأبي عبيدة الريحاني.

Abstract

“The Prose of Ali Ibn Obaydah Al-RAYHANI”

A Thematic and Artistic Study

D.219 A.H/ 834 A.c

Prepared by:

Fathi Irshaid Moham'd ShDIfAT

Supervised by:

Dr. Adnan Obayd AL-Ali

The study starts with an introduction about Al-Rayhani's environment and personal and cultural life. For many people this figure remains unknown, despite the fact that he wrote more than 50 books, of which nothing remained but the titles. However, there are some sayings and opinions by Al-Rayhani in books by other writers such as Al-Tawhidi's "Al -Basa'er walzakha'r" and Al-Abi's "Nathre Al-durar". Also, Al-Hamawi's "Mou'jam Al-odaba" presents an introduction of this man and his life.

The researcher has managed to examine a manuscript by Al-Rayhani from the Egyptian House of Books. The manuscript is entitled "Jawhir Al-Kalim wa Fawa'ed Al-Hekam" and offers valuable sayings, proverbs, advises. The writer adopts the method of sentence unity and classifies entries alphabetically, which makes it easy to refer to the book.

Despite that some critics gives this writer a better status than that of Al-Jahiz, and others treasures his sayings as something extremely valuable, this writer has not been done justice.

One may wonder why this writer's books were lost. Was this something intended or not? The fact that only one manuscript has been survived rises some suspicions.

The reasons may be traced to several factors including this writer's connection to Al-Ma'moun, political disputes between Al-Ameen and Al-Ma'moun and the latter's support of the Shiites and his belief that the Holy Quran was developed as creature by God.

Chapter two presents various topics including social ones such as ethics, social relations, and bad manners, slander for instance, religious ones such as, asceticism, sufism, justice, mutual consultation, and piety, political ones such as war and peace (advantages and disadvantages), relation of the ruler and the ruled, policy of dealing with higher and lower classes, and respect for the sultan, and economic ones such as planning, economizing, and developing and implementing objectives and methods.

Technical features of Al-Rayhani prose have two aspects. One is traditional and represented by influence of Islamic meanings of the Holy Quran and Sunna, Al-Imam Ali, Ibn Al-Muqaffa' and other contemporary writers, and usage of contrasting duets and some mannerism such as Tibaq (antithesis) and Jenas (punning). The other is innovative and represented by influence of foreign culture such as the Greek. This is can be seen through this writer's excellent method of presentation, reasoning, debating, arguing and investment of Persian wisdom. Moreover, this writer was also characterized by use of riddles, puzzles, and good humor.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الريحاني، علي بن عبيدة، ت ٢١٩هـ / ٨٣٤م، جواهر الكلم وفرائد الحكم، دار الكتب المصرية، رقم ١ / ٢٢٨. (مخطوطة).
٣. الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين، ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م، نثر الدر، تحقيق محمد قرنه، ط ٥، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٥م.
٤. إخوان الصفا وخلان الوفا، إعداد وتحقيق، عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت، ط ١، ١٩٩٥.
٥. الإسفارييني، عبد القادر بن ظاهر بن محمد البغدادي، ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٠.
٦. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ / ٨٦٩م، صحيح البخاري، ضبطه وشرح ألفاظه ووضع فهارسه مصطفى ذيب البغا، ط ٢، دار ابن كثير، بيروت، صيدا، ١٩٨٧م.
٧. البغدادي، إسماعيل باشا، ت ١٣٣١هـ / ٩١٢م، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.
٨. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. البيهقي، أحمد بن علي ٥٤٤هـ / ١١٤٩م، السنن الكبرى، دار الفكر، د.ت.
١٠. الترمذي، محمد بن عيسى ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، الجامع الصحيح، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار الحديث، القاهرة.
١١. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، ت ٨٧٤ / ٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، د.ت.
١٢. التوحيدي، أبو حيان محمد بن عباس، ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م، البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، ١٩٦٤.
١٣. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م، الإعجاز والإيجاز، تخريج محمد التنوحي، ط ١، دار النفائس، ١٩٩٢م.
١٤. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
١٥. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م، يتيمة الدهر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦. الجاحظ، عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
١٧. الجاحظ، عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
١٨. الجهشيارى، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ٣٣١هـ/٩٤٢م، الوزراء والكتاب، حققه مصطفى السقا وآخرون، ط ٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٩. ابن أبي الحديد ٧٨٣هـ/١٣٨١م، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار إحياء التراث، ١٩٦٥م.
٢٠. الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م، زهر الآداب وثمر الألباب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.
٢١. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي ٥٦٢هـ/١١٦٦م، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٢. ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. د.ت.
٢٣. الخوانساري، محمد باقر الموسوي ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، روضات الجنات، ط ١ الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٩١.
٢٤. الدارمي، أبو محمد بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ٢٥٥هـ/٨٦٨م، سنن الدارمي، تحقيق وشرح وتعليق، مصطفى ديب، ط ٢، دار القلم، دمشق.
٢٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٦. الزمخشري، محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ، ١١٤٤م، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، دار الذخائر، قم، د.ت.
٢٧. السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ٢٧٥هـ/٨٨٨م، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٨. السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م. الأساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٩. الشيباني، أحمد بن حنبل ٢٤١هـ/٨٥٥م، المسند، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣٠. علي بن أبي طالب، الإمام ٤٠هـ / ٦٦٠م، نهج البلاغة، الطبعة الرابعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .
٣١. القلقشندي، أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ / ١٤٣٠م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت ، ١٩٨٧م.
٣٢. المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، ت ٣٤٦هـ / ١٠٤٤م. آمالي المرتضى "غرر الفرائد ودرر القلائد"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٦٧م.
٣٣. ابن المقفع، عبد الله ، ت ١٤٣هـ / ٧٦٠م. الأدب الكبير والأدب الصغير، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٣٤. ابن المقفع، عبد الله ، ت ١٤٣هـ / ٧٦٠م. كلیلة ودمنة، قدم له :- فاروق سعد ، الطبعة الرابعة، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٦م.
٣٥. ابن القفح، عبد الله، ت ١٤٣هـ / ٧٦٠م، الأدب الكبير والأدب الصغير، تحقيق ودراسة، إنعلم فوال، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
٣٦. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب، ت ٣٥٨هـ / ١٩٦٨م. الفهرست، تحقيق، رضا تجدد، مطبعة دار نكشاه، طهران، ١٩٧١م.
٣٧. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م، نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م
٣٨. النيسابوري ، الحاكم ٣٧٨هـ / ٩٨٨م، المستدرک علی الصحیحین ، دار صادر ، بيروت .
٣٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج ٢٦١هـ / ٨٧٤م، صحيح مسلم، تحقيق خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
٤٠. الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين الكتبي، ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، دار صعب، بيروت، د.ت.
٤١. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٦م، معجم الأدباء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

المراجع :

١. أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.
٢. حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، القاهرة د.ت.
٣. زكي مبارك، عبقرية الشريف الرضي، دار الجيل، د.ت.
٤. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ط١، دندره للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
٥. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٤٦م.
٦. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ط٢، دار المعارف بمصر، د.ت.
٧. عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأساتيده، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٠م.
٨. عبد اللطيف حمزة، ابن المقفع، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٥م.
٩. عيسى العاكوب، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي، ط١، قدم له، محمد حمويه، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ١٩٨٩م.

الدوريات

إحسان عباس، مجلة الأبحاث يصدرها مركز الدراسات العربية، ودراسات الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية لسنة ٢٩ / ١٩٨١م.
